كتاب
لِنكسُ العرايا
تأليف : لويجي بيراندللو
ترجمة : يسرى مسعد
راجعه : حسن محمود

اهداءات ٢٠٠٢
د/ محمد عبد الفتاح الغمراوى
الاسكندرية





بإشراف
الهيئة العامة للكتب
والأجهزة العلمية
وزارة التعليم العالى



تصدر هـذه السلسلة بمعاونة
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الألف كتاب
٥٩٥

لنكس العرايا

تأليف
لويجي بيراندللو

ترجمة
يسري مسعد

مراجعه
حسن محمود

الناشر
دار سعد مصر
١٦ شارع النزهة — ميدان الجيش
١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

هـذه ترجمة كتاب : Vestire gli ignudi

تأليف : L. Pirandello

مقدمة

ولد الكاتب الإيطالى « لويجى استيفانو بيراندللو » فى ٢٨ يونيو عام ١٨٦٧ فى مقاطعة «جيرجنتى» وتعرف « باجريجنتو » الآن بجزيرة «صقلية» جزيرة الجحيم كما سماها الشاعر الإيطالى « دانت أليجيرى » كما اشتهرت هذه الجزيرة ـ التى يلتقى فيها الشرق بالغرب ـ بأعظم المعارك البحرية وكانت جبالها وبراكينها مثار خيال خصب للأدباء .

استهل « بيراندللو » دراساته الجامعية فى «روما» وأتمها فى «بون» بألمانيا حيث حصل على درجة « الدكتوراه » فى الآداب عام ١٨٩١ وظل يعمل بالتدريس فى جامعة «بون» إلى أن عاد إلى «روما» عام ١٨٩٣ حيث اختلط بالأوساط الأدبية والصحفية .

تزوج بيراندللو عام ١٨٩٤ «بماريا انتونيتّا بورتولانو» ابنة شريك والده فى صناعة تعدين الكبريت . وبعد زواجه بعدة سنوات أصابت «بيراندللو» عدة كوارث متتالية منها :

ـ معاناة زوجته آلاما شديدة فى ولادة طفلهما الثالث .
ـ إفلاس تجارة والده وضياع ثروته عندما أغرقت مناجم الكبريت .
ـ وفاة والدته .
ـ فقد بصر والده .
ـ ذهاب ابنه الأكبر ليخوض غمار الحرب ، ووقوعه أسيراً فى يد النمسويين .

ـ إرسال ابنه الأصغر إلى خطوط النار بعد أن أجريت له عملية جراحية فى إحدى مستشفيات روما .

ـ محاولة ابنته الانتحار ـ نتيجة سوء معاملة الأم لها ـ غير أنها نجت بأعجوبة ، ففكرت فى الهرب ، ثم لجأت إلى أحد الأديرة لتقضى بقية حياتها .

أثّرت هذه المصائب على زوجته فأصيبت بالجنون الذى اتّخذ عندها شكل الغيرة . ولكى يهدئها مكث بيراندللو فى المنزل طوال الوقت كما أنه لم يدخلها فى مصحة الأمراض العقلية . ولكن اتهاماتها له بالخيانة ازدادت ، فخلد إلى الصمت .

لهذا نرى اهتمامه فى مسرحياته بالوهم والحقيقة نابع من تجربته الخاصة إذ لم يكن فلسفيا محضاً ، بل كان نتيجة المعاناة الشديدة التى عاناها فى حياته الشخصية .

ولما كان بيراندللو فى هذه الفترة منشغل البال بمصير ولديه اللذين ذهبا إلى الحرب ، ومضطرا إلى أن يقضى يومه بين زوجة مجنونة ووالد عاجز ضرير ، وابنة وصمته بوصمة العار . كان لابد أن تخرج هذه الأشباح المعذبة التى تحلق وتحوم فى ذهنه . وأن يقدمها فى ثوب درامى عنيف يجمع بين روح الواقع والخيال . فنظرياته من هذه الوجهة تقوم على خلاصة تجاربه فى الحياة وتصوير آلامه وأزماته الفكرية .

لم يتعرض بيراندللو للتأليف المسرحى إلا حينما اقترب من الخمسين من عمره بعد أن أغراه أحد أصدقائه بالدخول فى حلبة المسرح ليكون اتصاله

بالجمهور اتصالا قوياً مباشراً فيتذوق الناس فنه الروائى فى شكل مسرحيات . فدخل بيراندللو بمسرحياته عواصم العالم المتمدين واعترفت المجامع الأدبية بعبقرية هذا الكاتب الفذ الذى اتجه بالمسرح وجهات جديدة .

فى نوفمبر عام ١٩٣٤ منح جائزة «نوبل» فى الأدب ، تقديراً لفنه وشهرته. وإنتاجه الذى اكتسب شهرة عالمية ، وبذلك أصبح ثالث كتاب إيطاليا الذين ظفروا بهذه الجائزة . ومات بيراندللو فى فجر يوم من أيام شهر ديسمبر عام ١٩٣٦ بروما نتيجة التهاب رئوى وحملته إحدى مركبات قطار البضاعة الخارجة من روما من غير احتفال ولا زهور ليدفن فى مقابر الفقراء فى مسقط رأسه جيرجنتى ولم يشهد أى فرد من مريديه تشييع الجنازة بناء على وصيته إذ قال : « ليس فى المسألة غير الجواد والعربة والسائق » ولذلك لم يوص بأى احتفال دينى فى جنازته بعد أن ترك نحو مائة عمل أدبى ، بين رواية وقصة ودرامة وديوان شعر ، ومن بينها المسرحية التى قمت بترجمتها بعنوان «لنكس العرايا » التى تعتبر من أجمل فرائده ، وقد كتبها مدفوعاً بذكريات خاصة وانفعالات وقعت فى محيط أسرته كما أسلفنا الذكر .

والدراما فى حد ذاتها مؤلمة لأنها تمثل فاجعة فتاة مثقفة فى العشرين من عمرها هى « أرسيليا دراى » ذات الجمال الساحر الخلاب إلا أنها تسىء الظن دائماً بالحياة . فهى لا تؤمن بوجود شىء اسمه الأمل أو السعادة أو الحظ وهى مصابة بنوع من التهافت العصبى يجعلها متشائمة مسرفة فى الشك إلى أبعد مداه حتى شرعت فى الانتحار . ولكنها أنقذت فى آخر لحظة بأعجوبة وقد تألب عليها العشاق والأصدقاء . فهناك مخدومها الثرى القنصل «جروتى» الذى يرغمها على أن تظل محظيته . ثم خطيبها « فرانكو » الضابط البحرى الذى يبغى الاقتران

بها . وهناك الصحفى « كانتافالله » الذى يتخذ من حادث انتحارها مادة يملأ بها صفحات جريدته. والكاتب القصصى « لودوفيكو نوتا » الذى يؤيها فى داره لأنه وجد فى مأساتها موضوع رواية طريفة يقدمها إلى قرائه . فذهب إلى المستشفى وقد دفعه فضول الفنان إلى أن يتعرف ببطلة الحادث وأقنعها بالانتقال إلى داره ليستضيفها ويقف منها على معلومات أدق وأجدى . وهذا ما سيتضح لنا من خلال المسرحية .

يناير ١٩٦٤ — المترجم

أشخاص المسرحية

أرسليا دراى	
فرانكو لاسبيجا	ضابط بحرى سابق
القنصل جروتى	
لودوفيكو نوتا	الكاتب الروائى العجوز
الفريدو كانتافلله	الصحفى
السيدة أونوريا	صاحبة السكن
أما	خادمة

المكان : مسرحية من ثلاثة فصول ، تجرى حوادثها بمدينة روما

الزمن : الوقت الحاضر

المشهد

يمثل المشهد مكتب الكاتب الروائى لودوفيكو نوتا وهو عبارة عن حجرة فسيحة مؤجرة ، أثاثها قديم مشترى من المزادات . بعض الأثاث البسيط ملك المؤجرة السيدة أونوريا ، والبعض الآخر ملك الكاتب الروائى . على حائط المؤخرة أرفف مليئة بالكتب ، وبين نافذتين ، لهما ستائر باهتة على الحائط الأيمن ، قمطر للكتابة فى حالة الوقوف ، أسفله رف به قواميس ضخمة . وبجوار الحائط الأيسر أريكة من الطراز القديم مكسوة بقماش سميك مزخرف بأزهار ، ولإخفاء القذارة تتدلى شرائط على المسند وعند المتكأين ، وهناك مقاعد ذات مساند وكراسى محشوة ، ونضد صغير فوقه تماثيل صغيرة ، وكل هذه الأشياء فوق سجادة قديمة باهتة اللون . وفى حائط المؤخرة ، بجوار الأرفف ، باب عليه ساتر يؤدى إلى حجرة نوم السيد نوتا . وفى وسط الحجرة ، مائدة بيضاوية فوقها كتب ومجلات وصحف ومطفآت للسجائر وزهريات وبعض التماثيل الصغيرة . وأمام هذه المائدة ، تمثال لراعية تحمل مخدات . وعلى الحائطين الأيسر والأيمن تعلقت لوحات غير ذات قيمة مهداة من رسامين أصدقاء . والحجرة مظلمة على الرغم من وجود نافذتين . ويسودها الظلام الدامس تقريباً بسبب ضيق الشارع وارتفاع المنازل المواجهة لها . وبالشارع ضوضاء عالية تسمع فى فترات السكون وفى الأماكن المذكورة ناتجة عن سير العربات والمركبات ورنين أجراس الدراجات وأبواق السيارات ، ونفير الدراجات النارية ، وقرقعة الأسواط والصفير وخليط من الأصوات ، وصياح الباعة الجائلين وباعة الصحف .

الفصل الأول

عند رفع الستار ، المسرح خال . النافذتان المفتوحتان تسمحان بدخول ضوضاء الشارع لفترة وجيزة . يفتح الباب الرئيسى الذى إلى اليسار ، وتدخل أرسيليا دراى ، وفوق رأسها قبعة صغيرة ، وتبدو كشخص لا يدرى أين يتجه . ترتدى ثوباً أزرق فاتح اللون ، محتشماً ومستهلكا قليلا لاستعماله كمدرّسة أو مربية . وتبلغ من العمر أكثر من العشرين عاما بقليل ، وهى جميلة ، ولكنها تبدو شاحبة جداً — حيث أنقذت من براثن الموت فى التو — وعيناها زائغتان فوق هالة من السواد . تجول ببصرها فى أرجاء الغرفة ، وتظل واقفة فى انتظار دخول شخص ما ، وتبدو منها ابتسامة حزينة لمن تراه ، ولكن ، نظراً لمضايقة ضوضاء الشارع ، فهى تقطب مابين حاجبيها فى ألم . يدخل أخيراً ، لودوفيكو نوتا وهو يعيد وضع الحافظة فى الجيب الداخلى لسترته : وهو رجل وسيم ، لا يزال جذاباً على الرغم من أنه جاوز الخمسين عاما . عيناه نافذتان براقتان ، وعلى شفتيه الرخوتين ابتسامة الشباب تقريباً ، بارداً ، متأملا ، محروما تماماً من تلك الهبات الطبيعية التى تجمع بسهولة بين العطف والثقة ، وهو لا يفلح فى التظاهر بأى إحساس بالعاطفة ويحاول على الأقل أن يبدو بشوشاً . لكن هذه البشاشة ، التى يحاول إظهارها غريبة عنه . بل تؤيد غموضه وتبعث أحيانا على الحيرة .

لودوفيكو : أنا هنا ! تفضلى تفضلى . . . ياإلهى ! من هذه النوافذ .

[يندفع ليغلقها]

إنها لعنة حقاً ، لو لم افتحها لفترة وجيزة لأصبحت رائحة الحجرة كريهة هنــا كهذه . . . منازل آيلة . . . اخلعى ، اخلعى قبعتك !

[تطيع أرسيليا]

(تدخل من باب المؤخرة ، السيدة أونوريا وهى ممسكة تحت إبطها بربطة من ملاءات الفراش لترسلها إلى المغسل ، وبيدها الأخرى مكنسة ، وهى تناهز الأربعين من عمرها : قصيرة القامة قميئة . وجهها ملىء بالمساحيق ، ثرثارة)

أونوريا : بعد إذنــكما .

لودوفيكو : (الذى لا ينتظرها) أوه ، هل كنت هناك ؟

أونوريا : (ماضغة) أعددت الفراش ، كما حررت لى كتابة فى الدهليز هذا الصباح .

لودوفيكو : (مرتبكا) آه فعلا .

أونوريا : (فوراً) ولــكن ، فيم يجب أن يستخدم من أجله . . . .

[تنظر إلى أرسيليا وتقاطع]

آ ه ، انتظر ، من الأفضل أن نتفاهم . سأترك هذه الأشياء خارجا .

لودوفيكو : هذا غير لائق . . .

أونوريا : (فوراً وفى غضب) معذرة ، وأنت الذى تقول لى ، إنه غير لائق ؟

لودوفيكو : (يحاول الابتسام) إيه ، يبدو لى ! وتشعرين أنت نفسك بضرورة التخلص . . .

أونوريا : نعم ياسيدى . « من كل شىء » ، وليس فقط من هذه الأشياء !

لودوفيكو : (متغيراً) ماذا تقصدين ؟ فلنسمع !

أونوريا : (تمسك برأسه) هذه الآنسة ، مثلا ، التى أحضرتها إلى منزلى ! إذا راق لك . .

لودوفيكو : آه بالله عليك ! تكلمى باحترام ، وإلا —

أونوريا : — وإلا ماذا تريد منى أن أفعل ؟ أريد أن أكلمك بصراحة ، سأذهب لأترك هذه الأشياء خارجا .

[تخرج فى غضب من الباب الرئيسى]

لودوفيكو : (يتظاهر باندفاعه وراءها) أيتها القبيحة الثرثارة الحانقة .

أرسليا : (حزينة ، خائرة القوى ، تمسك به) لا ، لا ، أرجوك ! دعنى أذهب . . . .

لودوفيكو : لا ، مطلقاً ! هذا منزلى وستبقين معى فيه !

أونوريا : (تعود بسرعة) منزلك ؟ كيف ذلك ؟ إنها غرفة للإيجار ، وليست ملكا لك ! وتذكر جيداً أنك تسكن فى منزل سيدة محترمة !

لودوفيكو : محترمة ! من ! أنت ؟

أونوريا : نعم ! أنا ، أنا ! ياسيد !

لودوفيكو : وتقدمين الدليل على ذلك ، فعلا !

أونوريا : نعم ياسيدى ! فعلا ! لأنى لا أسمح لك باصطحاب سيدات إلى منزلى !

لودوفيكو : إنك لفظّه وقحة !

أونوريا : كن على حذر فى كلامك !

لودوفيكو : فظّة ، وقحة ولا تميزى مع من تتعاملين !

أرسيليا : أنا إنسانة مريضة مسكينة . خرجت توا من المستشفى .

لودوفيكو : لا تجهدى نفسك بتقديم تفسيرات لها !

أرنوريا : إذا كنت مريضة . . . .

[ضجة عربة محملة ترج زجاج النافذة]

لودوفيكو : كفى ، قلت لك ، لا يمكنك أن تمنعينى من التنازل عن مسكنى لبضعة أيام .

أونوريا : آه ، لا ، لا ، لا تستطيع ، إنى أجرت هذه الغرف لك أنت فقط!

لودوفيكو : وإذا حضرت أختى ؟ أو إحدى قريباتى ؟

أونوريا : فليذهبن إلى الفندق !

لودوفيكو : آه ؛ أليس من حقى إيوائهن هنا بضع ليال ؟

أونوريا : ولكن الآنسة ليست إحدى قريباتك ! من الذى تريد إقناعه بذلك ! ؟ .

لودوفيكو : ومن يدريك أنت ؟ إذا كنت سأذهب أنا للمبيت فى فندق ؟

أونوريا : على آية حال ، يجب أن تطلب منى ، وبلطف ، الإذن .

لودوفيكو : حتى الإذن !

أونوريا : نعم ياسيدى ، وبلطف ! معذرة ، إذا كنت تشم هنا رائحة كريهة لا تطاق ، فلم لا ترحل من هنا؟ ياليتك تترك لى الغرف خالية ،

لودوفيكو : سأتركها لك فعلا ، وفى الحال ! وعلى كل أرجوك أن تغربى عن وجهى .

أونوريا : ستترك لى الغرف ؟

لودوفيكو : نعم ، بعد بضعة أيام ، فى نهاية الشهر .

أونوريا : آه حسناً ، إذن ، ليس لى أن أقول لك شيئاً .

لودوفيكو : واذهبى إذن !

أونوريا : إنى ذاهبة ، إنى ذاهبة . لن أقول لك شيئاً .

[تخرج من الباب الرئيسى]

لودوفيكو : تصورى سلاطة لسانها ! — معذرة للغاية ، يا آنسة ، لهذا المنظر الرائع بمجرد حضورك .

أرسيليا : أوه ، لا شىء . الذى يؤلمنى هو أنه كان بسببى . . .

لودوفيكو : لا ، إنى فى صراع منذ عام مع هذه الأفاقة : مكبل ، لست أدرى ! وكأنه كابوس جاثم على صدرى من كل هذه الأشياء القذرة الموجودة هنا . ربما كنت تتصورين . . . منزل كاتب . . .

أرسيليا : لا ، لا شيء ، بالنسبة لى . ولكن من المحزن حقاً أن رجلا مثلك ، مع شهرته . . .

لودوفيكو : سيكون لنا فى نهاية الشهر ، مسكن صغير هادئ فى حى «ما كاو» : بشارع سوما كامبانيا ، وسط الحدائق . سنذهب معاً لزيارته غداً و نشترى سوياً الأثاث الجديد ، وتكونين عشك بنفسك . . .

أرسيليا : يا إلهى ، من أجلى . . .

لودوفيكو : كان على ، لا ـ كان على أن أترك هذا المكان : بأى ثمن ! وتعلمين ، أنى . . . أنى كالشخص الذى يعيش فى حلقة مفرغة . ولكنى مسرور لحصولى على هذا الإلهام ، حتى أكتب عنك ، وأبدأ معك الآن ، حياة جديدة . ـ مستنقع : كله ذباب ، وقيظ . وفجأة نتنفس : آ آ آه ! ـ ما الذى يحدث ؟ لا شيء : لفحة من الهواء ترتفع ! ـ هكذا تكون حياتى .

أرسيليا : لست أدرى حقاً كيف أشكرك .

لودوفيكو : ليس هذا بالوقت المناسب لتشكرينى وعلى العكس ، أنا الذى يجب أن أشكرك على قبولك القليل من . . .

أرسيليا : لا ، هذا كثير كثير جدا بالنسبة لى !

لودوفيكو : هذا بالنسبة لك . أريد أن أقول ، بالنسبة لما تسمين إليه ، ذلك القليل الذى أستطيع تقديمه لك .

أزسيليا : لا تقل سيادتك ذلك على الأقل !

لودوفيكو : (بابتسامة ، مصححاً) « لا تقل ذلك » .

أرسيليا : يجب أن تعودنى . إنى مجهدة ، آه لو تعلم هذا !

لودوفيكو : من أى شيء مجهدة ؟

أرسيليا : من هذا الحظ ...

لودوفيكو : إيه هيا ! لأنى كاتب ؟

أرسيليا : إن قصة آلامى ، المنشورة بالجريدة ، ودورى اليائس ، استطاعا أن يحوزا التقدير والشفقة ـــ

لودوفيكو : الفائدة ، الفائدة !

أرسيليا : ـــ من رجل مثل سيادتك .

[مصححة بسرعة وابتسامة حزينة]

. . . مثلك !

لودوفيكو : نعم ، شعرت بأنى مأخوذ عندما قرأت تلك الجريدة ، كما يحدث عادة ، عندما نسمع عنها أو تروى لنا مصادفة ، فأنتبه بسرعة وبماذا أشعر ! بصدمة داخلية ، بعاطفة فجائية ، لأنى أجد دون البحث عن ذلك ، نواة . . . نواة لقصة أو لرواية ـ

أرسيليا : ـ ربما تلك التى فكرت سيادتك ـ

[مصححة بسرعة وبابتسامة حزينة]

. . . أى ـ ربما فكرت فى أن تكتب ؟

لودوفيكو : لا ! افهميني جيداً ! لا تظنى أنه حدث بواقع فضول فنان ! إنى قمت بمقارنة ، لأفهمك كيف أثير اهتمامى بسرعة .

أرسيليا : آه لو كانت حياتى البائسة ، المليئة حزنا والآما تخدمك على الأقل ـ

لودوفيكو : ـ لتجعلنى أكتب رواية ؟

أرسيليا : لم لا ؟ سأكون سعيدة وفخورة ـ كثيراً !

[مبتسمة وبقليل من الحماسة تضيف]

فى الحقيقة : فخورة جداً .

لودوفيكو : (ينظر نحوها ، ثم يقول) لقد أسقط فى يدى !

أرسيليا : ولم ؟

لودوفيكو : لأنك ، بدون رغبة منك ، تعتبريننى كهلا .

أرسيليا : (مرتبكة فجأة) أنا ؟ لا ، إنى أقول . . .

لودوفيكو : إن الرواية ياعزيزتى ، إما أن نكتبها وإما أن نعيشها . قلت لك إنى شعرت بأنى مأخوذ تماماً لا لأكتبها ، بل لأحياها . كلما مددت لك يدى ، مددت لى القلم ، بدلا من أن تقدمى لى شفتيك . لِمَ أكتبها ؟

أرسيليا : هذا سابق لأوانه ـ

لودوفيكو : الفم ـ فهمت ـ أهذا فيما بعد ؟

أرسيليا : لا . . .

لودوفيكو : (ملاحظا الارتباك الذى سببته مرونته البالغة) فلنلاحظ الفارق بين ما يبدو علىّ وما يبدو عليك . . أنا أشعر بجرح كرامتى ، لأنك تعتبرين اهتمامى بأمرك مجرد فضول كاتب روائى ، وأنت أيضا جرحت كرامتك . . . أوعلى الأقل . . . غير مسرورة . فإذا قلت لك إن الكاتب ، عندما يريد أن يقوم بعمل روائى باعتباره خبيراً ، حتى لا تقولى إنه عجوز، فهو ليس فى حاجة لأن يقدم لك الضيافة ، ولا أن يأتى ليأخذك عند خروجك اليوم من المستشفى وذلك لأنى تصورت الرواية كلها ، من أولها لآخرها عند ما قرأت ظروفها فى الجريدة .

أرسيليا : آه . . كيف ذلك ؟ هكذا بسرعة ؟

لودوفيكو : فى لحظة . تصورت المواقف والتفاصيل العديدة . . أوه، رائع ! — الشرق . . هذه الفيلا الصغيرة القريبة من البحر ، بتلك الشرفة . . . وأنت هناك ، مربية . . . وتلك الطفلة التى هوت من الشرفة . . وطردك من الفيلا . . وسفرك . . ووصولك إلى هنا . . والاكتشاف المؤلم لخيانة خطيبك . . . كل شىء ، كل شىء . . . هكذا دون أن أراك وأتعرف عليك .

أرسيليا : كيف تخيلتنى . . . كيف ؟ . . . هكذا . . . كما أنا ؟

[لودوفيكو مبتسما يشير بأصبعه بعلامة النفى]

وكيف إذن ؟ أخبرنى سيادتك بذلك .

[مصححة بسرعة وبابتسامة حزينة] . .

أخبرنى بذلك .

لودوفيكو : ولماذا تصرين على معرفة ذلك ؟

أرسيليا : لأنى أريد أن أكون كما تخيلتنى .

لودوفيكو : لا : إنك تروقين لى كثيراً ، كثيرا جداً هكذا . كما أنت ، أقصد بالنسبة لى ، وليس بالنسبة لبطلة القصة .

أرسيليا : إذن ... هذه القصة ليست قصتى ، أعددتها من شخصية أخرى !

لودوفيكو : طبعاً ، إنها قصة المرأة التى تخيلتها .

أرسيليا : وهل هى تختلف عنى كثيراً ؟

لودوفيكو : إنها شخصية أخرى .

أرسيليا : أوه ، يا إلهى . لست أفهم ، لم أعد أفهم —

لودوفيكو : ما الذى لا تفهمينه ؟

أرسيليا : ـ فائدتك ... كيف يمكن أن تكون لى ؟

لودوفيكو : ولمن تريدين أن تكون ؟

أرسيليا : بما أننى لست تلك المرأة ... بما أن ظروفى وآلامى . . . وكل ماقرأته بالجريدة ، أفادك — أعنى إذا لم يكن أفادك بالنسبة لى . . بما أنها امرأة أخرى تلك التى تهتم بها ولست أنا . . .

[تظل كالحالمة شاردة]

لودوفيكو : حسناً !

أرسيليا : إذن يمكننى أن أنصرف .

لودوفيكو : (مبتسما وحاجزاً إياها بشىء من الدعابة) لا شىء على الإطلاق يا عزيزتى أنت ، لا ! إن التى ستنصرف ، هى بطلة الرواية ، التى ليست أنت !

أرسيليا : (فى غموض ، محذرة) كيف لست أنا ؟ إنك لا تصدقنى إذن !

لودوفيكو : (مبتسما وحاجزاً إياها بشىء من الدعابة) نعم ، أصدقك ،

أصدقك ! والآن أريد أن أتخيلك فى حياة جديدة : تلك التى يمكن أن تكون معى والتى ستكون معى مستقبلا . وأريدك أنت أيضا أن تتخيليها ، حياتك ، الجديدة، دون أن تتذكرى كل الآلام التى مرت بك .

أرسيليا : (بابتسامة حزينة) إذن أنا لست بهذه . . . ولا تلك — شخصية أخرى إذن !

لودوفيكو : أخرى ، فعلا ، تلك التى يمكنك أن تكونيها .

أرسيليا : (ملتفتة نحوه دهشة) أنا !

[هازة رأسها وبعلامة بسيطة بيديها الموضوعتين فوق ركبتيها]

لم أستطع أن أكون شيئاً على الإطلاق .

لودوفيكو : إيه هيا ! كيف لا شىء ؟

أرسيليا : لا شىء . . . على الإطلاق ..

لودوفيكو : معذرة ، إذا كنت !

أرسيليا : ماذا أكون ؟

لودوفيكو : أولا وقبل كل شىء أنت فتاة جميلة .

أرسيليا : (بكآبة هازة كتفيها) جميلة لا ، ومن ثم ، ما دمت لم أعرف كيف أستفيد من ذلك . . . .

لودوفيكو : إيه ، عندما لا يعرف الإنسان أن هذا صحيح . يمكن أن يخطر ببالنا نتيجة اليأس ، قبل أن نتخذ حلا نهائياً ، أن نستسلم للهزيمة ...

أرسيليا : (حزينة ملتفتة نحوه لتلاحظه) أوه يا إلهى . . . ماذا تقول ؟

لودوفيكو : لا شىء ، لا شىء — أقول لأنى تخيلتها ، فى الرواية ، تخيلت

« تلك» يائسة لأنها لا تعرف كيف تتصرف . . . وفى المساء . . .
وهى تنظر فى المرآة الباهتة اللون بالفندق الكئيب . . .والقرار
الفجائى : والمحاولة الجنونية . . . وهى لا تمتلك شيئاً ، أو تكاد
تملك بضع ليرات فى حقيبتها الصغيرة . . . وصاحب الفندق
الذى كان يطلب دفع الحساب . . .

أرسيليا : (حائرة ، برعب وقلق) ولكن هل كل هذا كان مكتوباً
فى الجريدة ؟

لودوفيكو : لا ، تخيل . . .

[يتوقف ، مأخوذاً ، ويسألها بسرعة منحنياً نحوها :]

لأنه ربما يكون حقيقياً !

أرسيليا : (تخفى وجهها بين يديها وترتعد من الخجل والقشعريرة)
نعم . . .

لودوفيكو : (بصوت خافت تقريباً وبسرعة فى رضا) آه تصورى . . .
تصورى كيف أدركت ذلك بالضبط !

[ثم من جديد ، بألم وقلق]

هل نزلت ليلا إلى الطريق ؟

أرسيليا : (تخفى وجهها بين يديها ، وترتعد من الخجل والقشعريرة)
نعم . . . نعم . . .

لودوفيكو : (فى رضا ، بصوت خافت تقريباً وبسرعة) وكان ذلك . . .
مع شخص من الطريق ؟ مع شخص ما ؟ مع أى شخص كان عابراً ؟

أرسيليا : (دون أن تكشف عن وجهها) و . . . وبعد ذلك . . . لست
أدرى ماذا أفعل ؟ بعد . . .

لودوفيكو : (فورا) كيف تفعلين لتسألينه ؟

[وبما أن أرسيليا لم تجب ، يجاوب بنفسه كما لو كان يعرف ذلك]

لا شيء ، إيه ؟ آه ، وكأنه حقيقى ! وكأنه حقيقى ! انتابك عندئذ الاشمئزاز ، والفزع من هذه المحاولة القبيحة العديمة الجدوى . . .

تماما ! تماما !

[تنخرط أرسيليا فى البكاء]

لا . . . أتبكين ؟ ولم الآن ؟ . . لا ، لا . .

[يحاول أن يحتضنها ليواسيها]

أرسيليا : (ناهضة ، مهانة ، خائرة القوى) دعنى . . . دعنى أرحل الآن . . .

لودوفيكو : كيف ! ماذا تقولين ؟ لماذا ؟

أرسيليا : والآن بما أنك تعرف ذلك . . .

لودوفيكو : كنت أعرفه من قبل ! كنت أعرفه !

أرسيليا : كيف كنت تعرفه ؟

لودوفيكو : لأنى تخيلته ! ألا ترين ؟ أدركته تماماً . . . هكذا بالضبط !

أرسيليا : إنى خجلة للغاية . . .

[وفى هـذه اللحظة يرتفع من الشارع ضجيج فجائى عنيف كأنه هجوم من دوى عربات وجلبـة وصيحات تهديد وأصوات نغمات وصفير وسباب]

لودوفيكو : لا ، أى خجل . . .

[يتوقف ليلتفت نحو النوافذ]

أية مصيبة وقعت !

أرسيليا : إنهم يصيحون . . . ربما وقعت حادثة . . .

[تزداد الضوضاء ، تسمع الصيحات . . . النجدة ! ..
النجدة ! تدخل السيدة أونوريا مندفعة مذعورة]

أونوريا : صرعوا عجوزا مسكيناً ؛ عجوزا مسكيناً ؛ سحقاً فى الحائط !!
هناك ، تحت النوافذ !

[تجرى لتفتح إحدى النوافذ . ويطل لودوفيكو وأرسيليا من النافذة الأخرى]

[وما إن تفتح النوافذ حتى تغمر المشهد ضوضاء الشارع لبضع دقائق لقد اصطدمت سيارة بعربة . والسيارة وهى تحاول التفادى سحقت فى الحائط عجوزاً ؛ لم يكن لديه الوقت لتجنبها . والعجوز فى النزع الأخير ، أو مات فعلا : رفعوه وسط الاضطراب والصيحات : ووضعوه فى عربة أسرعت به إلى المستشفى . يظهر بوضوح المشهد الخارجى من خلال صيحات الجمهور المختلطة والمنفردة : ومن بينها الصرخة العنيفة والصيحات الأولى الحادة : — « آه ! آه ! يا إلهى ! يا إلهى ! النجدة ! النجدة » يمكن أن نتبين ما يأتى « . المسكين ! » « — سحقوه ! » من الخلف ! « — » « هاهو ذا يهرب ! » « — » لقد هرب ! « — » لا ! لا ! امسكوه أوقفوه ! « — » مات ! « إنه عجوز ! » — أسرعوا ! « امسكوه » ! « سحق ! » ـ « مات ! » ـ « تأثرت ! » « تأثرت ! » « لا ، هو : الذى آلمنى ! » ـ « ليس صحيحاً ! » اضربوه بالرصاص ! « صو ! صو ! » ـ أفسحوا . إلى السجن ! لا لا ! لم يمت ! « أوه المسكين ! » ـ « أسرع ، أسرع » ـ « إلى دار المواساة ! ـ » من الأفضل إلى دار « القديس جاكومو ! » « القبعة ،

أوه ! القبعة » ـ « العجوز المسكين ! » ـ « القتلة ! القتلة ! » ـ
على المشهد يتمثل هياج الجمهور فى حركات وصيحات الأشخاص
الثلاثة المطلين من النافذة] .

أونوريا : مات ··· مات ··· أوه المسكين ! ··· أوه ! ، امسكوه ··· كان
يريد الإفلات ··· يالوجه المجرم ! ويدافع عن نفسه ! أوه ! ···
سحقه كالضفدعة !

أرسيليا : (مبتعدة عن النافذة بفزع) يا إلهى ! ياله من منظر ! ياله من
منظــر !

لودوفيكو : (يعيد غلق النافذة) لا بد أنه مستخدم عجوز مسكين .
ياسيدة أونوريا ، أغلق ، أغلق ! بالله عليك النافذة !

أونوريا : إذا كانوا حملوه ! فلا بد أنه مات !

لودوفيكو : إذا لم يكن مات ، فلن يصل حيا إلى المستشفى !

أونوريا : سأهبط ، سأهبط للاستفسار ! ياللكارثة ! يا للكارثة !
[تخرج مسرعة من الباب الرئيسى]

لودوفيكو : فى هــذا الشارع الملتوى القذر حيث لا يعرف الإنسان كيف
يضع قدمه فى أيام المطر ، توجد حركة مواصلات عنيفة ، من
عربات ومركبات وسيارات، وزيادة على ذلك يقيمون فيه سوقا !
ولديهم الشجاعة ليقيموا فيه سوقا .

أرسيليا : (بعد صمت ، وعيناها مثبتان ، مليئتان بالفزع) ـ الشارع ···
يا للرعب !

لودوفيكو : يا له من مدرسة لمن يكتب ! إذ يتحرر الخيال من كل القيود
العادية . وكأنه يعيش فوق السحب ! ولكن هناك الشارع ،

والناس يمرون فيه ، وضوضاء الحياة ، حياة الآخرين ، الغريبة ولكنها الحاضرة ، التى تتحول وتتوقف وتتشابك وتتضاد وتفسد ... نريد أن نعيش معاً ، لنكوّن سويا قصة جميلة ! نعم ، وافترضى أننى أنا الذى سحقت ، مصادفة ، فى الشارع فماذا كنت تفعلين هنا بعد ذلك ؟ ؛ قد يحدث لك أن تتوقف الحياة من حالة غير متوقعة ، كسقوط تلك الطفلة من الشرفة .

[صمت]

أرسيليا : (مستغرقة فى أفكارها ، هازة رأسها بخفة) أن يخدم الإنسان ... أن يطيع ... لا يستطيع أن يكون شيئاً ... سوى ثوب خدمة مستهلك ... يعلق فى مسمار على الحائط فى كل مساء . يا إلهى ! يا له من أمر فظيع ، لم أعد أشعر بأن أحداً يفكر فى ! — فى الطريق ... — رأيت حياتى ، لست أدرى ، بمعنى ألا وجود لها ، وكأنى فى حلم ... وكل الأشياء التى تحيط بى والعابرون القليلون فى تلك الحديقة ظهراً ، والأشجار ... وتلك المقاعد ... — ولم أرغب ، لم أعد أرغب فى وجودى ...

لودوفيكو : آه لا — أترين ؟ — هذا ليس صحيحاً .

أرسيليا : كيف لا يكون صحيحاً ؟ أردت أن أقتل نفسى !

لودوفيكو : فعلا ! ولكن لخلق رواية —

أرسيليا : (فى غموض جديد) كيف ، لخلق رواية ؟ أتعتقد أنك اكتشفت ؟

لودوفيكو : لا ، لا ، أعنى أنك ، بلا وعى ! ألهمتينى ، عندما رويت قصتك .

أرسيليا : عندما رفعونى من تلك الحديقة —

لودوفيكو : — نعم، ثم إلى المستشفى . معذرة ، كيف تريدين إلغاء وجودك ، وقد وجدت الشفقة لدى الذين قرأوا ظروفك بالجريدة ؟ إنك لا تعلمين ، مقدار العاطفة التى انتشرت فى المدينة كلها عندما نشروا قصتك ، والاهتمام الذى أثرته . وإنى لبرهان على ذلك !

أرسيليا : (بقلق يظهر فى عدم ثقتها) وما زالت عندك ؟

لودوفيكو : ماذا ؟

أرسيليا : الجريدة ! أريد قراءتها . أريد قراءتها . هل مازالت عندك ؟

لودوفيكو : أعتقد ذلك ، نعم . لا بد أنى احتفظت بها .

أرسيليا : ابحث عنها ، ابحث عنها ! دعنى أراها !

لودوفيكو : لا لماذا تريدين إثارة أشجانك الآن ؟

أرسيليا : دعنى أراها ، أرجوك! أريد أن أقرأ ، أريد أن أقرأ ما كتبوه .

لودوفيكو : أعتقد أنهم كتبوا ما أدليت به .

أرسيليا : ستدرك ذلك. لم أعد أتذكر جيدا ما قلته فى تلك اللحظة ! أريد رؤيتها ابحث عنها !

لودوفيكو : لست أدرى أين وضعتها ! مع عدم ترتيبى . . دعك من ذلك . سنبحث عنها معاً فيما بعد !

أرسيليا : هل كانت تروى كل شيء بالتفصيل ؟

لودوفيكو : أوه ، أكثر من ثلاثة أعمدة فى الأخبار . والمعروف ، أنه فى الصيف عندما يصادف الصحفيون قصة مثل قصتك ــ : يملئون الجريدة بها .

أرسيليا : وعنه هو، وعنه . ماذا قالوا ؟

لودوفيكو : إنه خانك .

أرسيليا : لا ، أريد الكلام عن ... عن الآخر !

لودوفيكو : عن القنصل ؟

أرسيليا : (مضطربة بشدة) كتبوا عن القنصل !

لودوفيكو : عن قنصلنا الذى فى « أزميرنه » .

أرسيليا : (مضطربة بشدة) أوه ، يا إلهى ! وحتى اسم المدينة ؟ إنهم وعدونى بعدم التعرض لذلك !

لودوفيكو : أوه نعم ! إنهم صحفيون ...

أرسيليا : ولكن ما الداعى لذلك ؟ كان يمكن أن تكون القصة بدون تحديد للمكان أو ذكر وظيفة الأشخاص . ولكن ماذا قالوا ؟

لودوفيكو : إن بعد سقوط الطفلة من الشرفة —

أرسيليا : (مخفية وجهها فى يديها) صغيرتى المسكينة ! صغيرتى المسكينة !

لودوفيكو : ـ ظهر بوحشية بالغة .

أرسيليا : ليس هو ! الزوجة ، الزوجة !

لودوفيكو : كانوا يقولون إنه هو أيضاً .

أرسيليا : لا ! إنها الزوجة ... ـ يا إلهى !

لودوفيكو : لأنها غيورة منك . ـ إيه ، إنى أتخيلها ! ـ كالشرطى ـ

أرسيليا : لا ! ماذا ! إنها صغيرة ـ نحيلة ، فظة ، وصفراء ـ كالليمونة !

لودوفيكو : أوه تصورى ! إنك تعرفين كيف أراها حية : هكذا ، كبيرة ، سوداء ، بحواجب متلاقية : أستطيع رسمها !

أرسيليا : أنت ترى كل شىء بالعكس ! من يدرى إذن كيف كنت ترانى أنا أيضاً ! لا ، لا : إنها على العكس كما قلت لك .

لودوفيكو : فعلا ، ولكن بالنسبة لى ، كانت تلزمنى حقاً امرأة كبيرة ، لأنى أرى الطفلة نحيلة وهزيلة .

أرسيليا : كيف ؟ نحيلة ! أوه يا إلهى ، صغيرتى ميمتّا !

لودوفيكو : كنت أسميها تيتّى .

أرسيليا : من هى تيتّى ، ميمتّا ! ميمتّا قلت لك إنها زهرة . وكانت تثب بساقيها الورديتين الممتلئتين ! وتتحرك ، فى كل خطوة ، حتى وجنتيها ، وكل ضفائرها الذهبية ! كانت تحبنى جداً ، أنا فقط !

لودوفيكو : ولهذا أيضاً ، كانت غيورة بالطبع .

أرسيليا : إيه ، فعلا ! وخاصة من أجل هذا ! إنها هى ، أتعلم ؟ أنها هى عندما أتى الشخص الآخر ، فى السفينة الحربية ـ

لودوفيكو : ـ ضابط السفينة !

أرسيليا : — نعم : هى ، هى التى خلقت من حولى ، فى تلك الليلة — خاصة — البهجة التى جعلتنى أفقد نفسى ؛ وحيدة هناك ، فى تلك الحديقة ، كالثملة ، وسط النخيل والروائح ... تلك الروائح ...

لودوفيكو : جميلة ، جميلة قصتك ، لأن فيها رائحة البحر ، والشمس ، وليالى الشرق !

أرسيليا : لو لم أكن قاسيتها —

لودوفيكو : — مع هذه الساحرة : إنى أتخيلها ! ـ ولكنه الغدر ، أتفهمين ، من تلك التى لم تتمتع أبداً ، وتعرف أن التمتع المشوب بخداع الأخرى ، سوف يزيله سريعاً الوضوح المرير ... — جميل جداً !

أرسيليا : لو كنت رأيتها ... إنها فى غاية الأمومة ! ـ طلب يدى رسمياً منها ومن القنصل الذى كنت تحت رعايته . ـ أوه أكثرت من المديح ! ـ ثم ، عندما أنصرف ... يا إلهى ، كيف يمكن أن

يتغير الإنسان من حال إلى حال فجأة هكذا ؟ — حياة لا أستطيع وصفها ؛ لم يعد يعجبها أى شىء أفعله : إذلال لى فى كل لحظة . — وفى النهاية ، اتهمتنى بالحادث —

لودوفيكو : — بينما هى التى أرسلتك خارج المنزل ، لست أدرى لأية مهمة !

أرسيلا : (تلتفت بسرعة متأثرة ومضطربة) من قال ذلك ؟

لودوفيكو : كان مكتوبا فى الجريدة .

أرسيليا : حتى هذا ؟

لودوفيكو : لابد أنك قلته ...

أرسيليا : لا ... لا أتذكر ... لا أعتقد ذلك ...

لودوفيكو : هل يمكن إذن أن أكون أنا الذى تخيلته ؟ أو ربما ابتكره المحرر ليعطى مزيداً من الوضوح لوحشية هذا الطرد ، سيرا على الأقدام ، دون أن يدفعوا لك حتى أجرة العودة . هذا صحيح !

أرسيليا : هذا صحيح !

لودوفيكو : وعلى العكس ، كان عليك أنت تقريباً أن تدفعى لهما مقابل ابنتهما !

أرسيليا : وهددتنى ، فعلا ؛ نعم : كانت ستتهمنى بالجريمة ، لو لم تخش أن أكشف عن أشياء معينة —

لودوفيكو : — ضدها ؟ — آه ، أترين إذن أن ذلك صحيح ؟

أرسيليا : (مضطربة) ... لا أريد القول ... لا أريد الكلام ... على العكس إنى مستاءة ، لما نشروه عن أنها طردتنى . — لا أريد التفكير الآن فى أى شىء ، فيما حدث هناك . — إنى أفكر فى الرحيل وفيما قاسيته . وإنى لمتأكدة أن الصغيرة المتوفاة تأتى معى

على السفينة حتى لا تبقى هناك مع والديها السيئين . ـ كان لدى هذا الشعور ، بأنى فقدتها ، فى تلك الليلة التى خرجت فيها ، من الفندق .

لودوفيكو : معذرة ، ألم تذهبى لمقابلة خطيبك ، عندما وصلت إلى هنا ؟

أرسيليا : أين ؟ كنت أجهل العنوان ، كنت أكتب إليه على صندوق البريد وذهبت إلى وزارة البحرية . فأخبرونى بأنه فصل من الخدمة .

لودوفيكو : ولكن كان عليك أن تبحثى عنه ليقدم لك حساباً عن الخيانة ، عن الجريمة التى ارتكبها !

أرسيليا : لم أكن أدرى قيمة ذلك !

لودوفيكو : كان قد وعدك بالزواج !

أرسيليا : حطمنى ! ـ بمجرد أن أخبرونى أنها كانت الليلة السابقة لزفافه ، كان الشعور القاسى ، بهذه الخيانة غير المتوقعة ، فظيعاً للغاية ، حتى إنى بقيت محطمة ولم يكن لدى حتى ليرتين فى الحقيبة الصغيرة ، و . . . علىّ أن أذهب كشحاذة . . .

[ترفع منديلها إلى عينيها . ثم تتوه عيناها فى الفراغ !]

فى الحديقة ، قابضة على علبة السم بيدى ، كنت أفكر فى الطفلة وكنت أشجع نفسى مفكرة فى أنى فقدتها البارحة ، وأنى ذاهبة لملاقاتها اليوم .

لوودفيكو : هيا ! هيا ! هيا ! لا داعى للتفكير فى تلك الأشياء الآن ! هيا ، تشجعى .

أرسيليا : (بعد صمت ، وابتسامة حزينة للغاية) نعم ؛ ولكن على الأقل ، على الأقل اجعل منى « تلك المرأة » !

لودوفيكو : تلك ، من ؟

أرسيليا : تلك التى تخيلتها . يا إلهى ، لو كنت شيئاً ما بالنسبة لما قلته لى ولو مرة واحدة على الأقل ، أريد أن أكون فى روايتك ، هذه المرأة كما أنا ! ـ معذرة ، تبدو لى أنها خيانة لو تخيلت امرأة أخرى .

لودوفيكو : (ضاحكا) أوه ! عظيم ! هل يبدو لك ، أن ذلك سيسلبك ما يخصك !

أرسيليا : نعم ، الذى يأخذ قصتى ، حياتى ؛ أنا التى لم أعد أريد أن أحياها ، أنا التى قاسيت منها كثيرا لدرجة اليأس ، معذرة ، يبدو لى أن لى الحق ، فى أن أعيش على الأقل فى القصة التى ستؤلفها ـ والتى ستكون جميلة ، أوه ، جميلة مثل قصتك الأولى التى قرأتها . . . ـ انتظر ... ماهو عنوانها ؟ .. آه ، « الطريدة » ، نعم « الطريدة » .

لودوفيكو : « الطريدة » ؟ إيه ، لا يا عزيزتى : أخطأت ! « الطريدة » ليست قصتى .

أرسيليا : (متوقفة) ليست قصتك ؟

لودوفيكو : لا .

أرسيليا : أوه تصور ! كان يبدو لى ذلك . .

لودوفيكو : إنها قصة لبيراندللو : وهو كاتب روائى ، وأنا على العكس لا أستطيع احتماله بصفة خاصة .

أرسيليا : (متهالكة ، وهى تخفى وجهها بيديها) أوه يا إلهى . . .

لودوفيكو : لا ، لا ! لا تلق بالا لذلك . لقد اختلط الأمر عليك .

أرسيليا : (وما زالت يدها على وجهها ، تنخرط فى البكاء) .

لودوفيكو : ولكن أتتكلمين جادة ؟ أتبكين ؟ إيه هيا ! ماذا تريدين أن

يهمنى ، إذا أخطأت ، ونسبت إلىّ قصة رديئة لم أكتبها ؟

أرسيليا : لا ... إنه هكذا كل شىء فى حياتى ... لا ... لا شىء يصاحبه النجاح معى ...

[نسمع طرقات على الباب الرئيسى]

لودوفيكو : من هناك ؟ تفضل .

[تدخل السيدة أونوريا وكلها بهجة ، فى مرونة وبتثاقل]

أونوريا : بعد إذنكما ؟

[تبحث بعينيها عن أرسيليا]

أين هى ؟

[تتوقف وتعقد يديها فى حزن عندما تراها تجفف دموعها]

أوه ، أتبكين ؟؟

لودوفيكو : (حائراً دون أن يدرك هذا التغير المفاجىء) مالذى حدث ؟

أونوريا : كان يمكنك أن تخبرنى ، بالله عليك ، أن الآنسة هى صاحبة قصة الجريدة ! الآنسة دراى ، أرسيليا دراى ، أليس ذلك صحيحاً ؟ أوه، مسكينة، مسكينة ! إنى فى غاية السرور، أتدرين لماذا؟ لأنك شفيت وأتيت إلى هنا .

لودوفيكو : معذرة ، كيف عرفت ذلك ؟

أونوريا : أوه ، حسناً . ألم أقرأ الجريدة ؟

لودوفيكو : لا ، لا أقصد ذلك ، كيف علمت أنها هى الآنسة أرسيليا .

أونوريا : آه ، لأنه أتى - انظر .

[تعرض عليه بطاقة زيارة]

— الصحفى الذى روى القصة .

لودوفيكو : هنـا !

أرسيليا : (تقفز مضطربة) الصحفى ؟

لودوفيكو : وماذا يريد منى ؟

أونوريا : يقول إنه فى حاجة إلى إيضاحات عاجلة من الآنسة أرسيليا .

أرسيليا : (تقفز مضطربة أيضاً) إيضاحات ؟

لودوفيكو : كفى الآن . بالله عليك !

أرسيليا : (شاردة دائماً وباضطراب) أية إيضاحات ؟

لودوفيكو : ومن قال له إن الآنسة موجودة هنا ؟

أونوريا : لست أدرى .

أرسيليا : (فوراً ، إلى لودوفيكو) ولا حتى أنا ! لم أكن أعلم ، حتى عندما تكلمت معه ، إننى سأحضر للإقامة هنا ... لديك . . .

لودوفيكو : (إلى نفسه تقريباً) آه ، فهمت ! لابد أنه ذلك الثرثار الكبير . . . —

[إلى أرسيليا]

— ماذا قررت ؟ أتريدين أن يتفضل بالدخول ؟

أرسيليا : لا ... لست أدرى ... أية إيضاحات يجب علىّ أن أعطيها له؟

لودوفيكو : سأذهب للاستفسار .

[يخرج من الباب الرئيسى]

أونوريا : أوه ! يا ابنتى المسكينة ! آه لو تعلمين كم بكيت ، كم بكيت عند قراءة قصتك فى الجريدة !

أرسيليا : (تنظر نحو الباب بضيق عظيم وبدون أن تصغى لها) ماذا يريدون الآن ؟

أونوريا : (مرتبكة) ... من يدرى ... ربما ...

أرسيليا : (يائسة) أوه يا إلهى ، لم تعد لدى قوة لاحتمال أية مفاجأة .

أونوريا : أتشعرين بألم ؟

أرسيليا : نعم ، كثيراً ! — هنا . . .

[تشير إلى فم المعدة]

إننى أختنق ! — لقد أنقذونى ، ولكن . . . من يدرى أى ألم ظل هنا ، لا أستطيع حتى لمسه ؟ . وهناك تقلص عضلى عنيف بالكلى . . .

[تهذى وتتأوه]

أوه يا إلهى

[تتغير فجأة ومن الشارع تسمع عزف أرغن بنغمة حادة]

أونوريا : انزعى ثوبك ، انزعى ثوبك . . .

أرسيليا : لا ، لا ...

[جريحة ومتألمة من نغمة الأرغن]

آه ، أرجوك ، دعيه ينصرف !

أونوريا : نعم ، حالا !

[تضع يدها فى جيبها لتأخذ منه حافظة النقود]

حالا !

[تسرع إلى النافذة ، تفتحها ، تنادى عازف الأرغن المتجول ، أسفل النافذة ثم تعطيه إشارة بالابتعاد ولكنه يستمر فى العزف ، وحينئذ تلقى إليه بعض النقود ، وهى تصيح به]

هنا مرضى !

[تكرر الحركة : « ابتعد ! » وتتوقف الموسيقى فجأة ... تغلق النافذة وتعود نحو أرسيليا]

ثم ذلك ، ثم ذلك ! استمعى إلىّ ، انزعى ثوبك . . .

أرسيليا : لا . . . ولماذا ؟ يجب أن أحتفظ به . .
إنى أخشى ألا يدوم حتى هنا . . . .

أونوريا : ما ذا ؟

أرسيليا : إنى يائسة ، آه لو تعلمين . . . كم أنا يائسة . . . لا أستطيع احتماله . . . احتمال هذا الرباط — آه — لا

[تنزعه]

أستطيع احتماله .

[يسمع من ناحية الباب الرئيسى صوت لودوفيكو وهو يدعو شخصاً للدخول]

لودوفيكو : لا ، لا ، تفضل ، ادخل .

[يدخل الصحفى ألفريدو كانتافالله ، ويتبعه لودو فيكو نوتا . وكانتافالله شاب من مدينة نابولى . يتظاهر بالرشاقة لدرجة أنه يضع نظارة فردية . ويعلم الله كم يكلفه ذلك من جهد . وهو فتى طيب . منخفض الجبهة ، غزير الشعر ، ولكنه غير منظم كشعر الطلاب ، طويل الوجه ، بدين مشرب بالحمرة ، ذو سيقان بدينة ، أنثوية الشكل ، تترك فى الحال ثنايا قبيحة فى السروال] .

كانتافالله : بعد إذنكما ؟ أوه يا آنستى الصغيرة : أتذكريننى ؟

لودوفيكو : (يقدمه) الصحفى ألفريدو كانتافالله .

أرسيليا : نعم ، أتذكره .

كانتافالله : لقد عرفتنى .

[ملاحظا السيدة أنوريا]

و . . السيدة ؟ قريبة لها ؟

لودوفيكو : لا إنها صاحبة المنزل .

كانتافلله : آه تشرفنا !

[ينحنى]

لأنى أعرف أن الآنسة ليس لها أقارب . —

علمت ، أن لديكم فى أسفل هذا المكان حادثا مروعا ، إيه ؟

لودوفيكو : نعم ، حادث العجوز ، المسكين .

أنوريا : تحت هذه النافذة بالضبط : ياللرعب !

كانتافلله : إنه مات .

أونوريا : آه ، هل مات ؟ هل مات فعلا ؟

كانتافلله : نعم يا سيدتى . قبل وصوله إلى المستشفى .

أونوريا : ما اسمه ؟ ما اسمه ؟

كانتافلله : لم نعرف بعد .

[ملتفتا نحو أرسيليا]

يا آنستى أتسمحين لى بالتعبير عن غبطتى — وأن أهنئك وأهنىء نفسى أيضاً ، لرؤيتك تستعيدين صحتك ؟

إيه نعم ، لقد سنحت لى الفرصة الجميلة ، وأحسنت الإفادة منها ، وقد تركت أثرا بالغاً لدى كاتب شهير بروايتى المتواضعة لقصتك الأليمة !

[إلى لودوفيكو]

أية تفاهات ، يا أستاذى ينطق بها صديقك ؟ لقد قمت بأروع عمل !

[ملتفتا من جديد نحو أرسيليا]

ولا يمكنك يا آنستى ، أن تتصورى مبلغ سعادتى !

أرسيليا : نعم . كانت حقاً فرصة بالنسبة لى .

لودوفيكو : دعنا من هذا ، دعنا من هذا !

كاتافالله : لا ، يا أستاذى ، لأسباب كثيرة ! إنها فرصة لأننا نستطيع الآن الحصول على شهادتك . هل يبدولك ذلك هينا ؟ والآن سأقول لك . . . إذا أمكننى التحدث هنا أمام السيدة . . .

[يشير إلى السيدة أونوريا]

أونوريا : (مضطربة) إنى ذاهبة ، ولكن . . . احذر فالآنسة فى هذه اللحظة . . .

لودفيكو : أتحسين بألم ؟

أونوريا : تشعر بألم بالغ !

لودوفيكو : بماذا تحسين ؟

أرسيليا : لست أدرى . . . لست أدرى . عرق بارد ، وأشعر بثقل هنا . . .

أونوريا : تعالى ، أنصتى إلىّ ، تعالى معى إلى هناك . . .

[تشير إلى باب المؤخرة]

أرسيليا : لا ، لا . . .

أونوريا : نعم ، ستنامين . . .

لودوفيكو : اذهبي ، اذهبى ، إذا كنت تشعرين بألم .

أونوريا : ستنزعين ثوبك ، فى الفراش . . .

أرسيليا : لا ، شكراً : دعينى أبقى هنا . أستطيع ، أستطيع المقاومة الآن .

كاتافالله : نتائج التسمم معروفة ! ولكن سترين ، الآن ، مع العناية! —

لودوفيكو : — والهدوء !

أونوريا : إنى فى خدمتك ، يا بنيتى : اطلبى منى ماتشائين . . . واستدعينى إذا كنت فى حاجة إلىّ .

أرسيليا : شكراً ياسيدتى .

أونوريا : وعلى ذلك أنسحب . . .

كانتافلله : تحياتى ياسيدتى .

أونوريا : (بصوت خفيض إلى لودوفيكو ، وهى تبتعد) لا تدعها تتكلم ! قليلا من الرعاية ! ألا ترى كيف تبدو سحنتها ، تلك المخلوقة المسكينة ؟

[تخرج من الباب الرئيسى ويذهب لودوفيكو ليغلق الباب]

كانتافلله : يؤلمنى هذا الإزعاج . . .

لودوفيكو : (متضايقا) يا عزيزى كانتافلله ، أرجوك أن تسرع !

كانتافلله : دقيقتان ، دقيقتان ، يا أستاذى العزيز !

لودوفيكو : هل يمكننا أن نعرف ماذا يريد هذا السيد القنصل ؟

أرسيليا : (مذهولة ، فزعة) القنصل ؟

لودوفيكو : هو ، هو ، فعلا .

[إلى كانتافلله]

يجب إيقافه عند حده !

أرسيليا : (مذهولة فزعة) هل هو هنا ؟

كانتافلله : نعم ، هنا : حضر بالأمس يا آنستى ليلقى بجام غضبه على الجريدة !

أرسيليا : (إلى نفسها ، يائسة) أوه ، يا إلهى . . . أوه يا إلهى . . .

لودوفيكو : وما الذى يريد تكذيبه ؟

كانتافلله : كل شىء ، إنه يقول . . .

أرسيليا : (إلى كانتافلله) أترى ، أترى الضرر الذى كنت لا أريده ، ووعدتنى بتجنبه ؟

كانتافلله : أنا ؟ ضرر ؟ أى ضرر ؟

أرسيليا : نعم ، ذكر اسم البلد ومركز ووظيفة الأشخاص !

لودوفيكو : آه ، تكذيب عام إذن ؟ وكيف يكون ؟

كانتافلله : أرجو المعذرة ، يا أستاذى ، أنى أرد على الآنسة : — فالاسم ، لم أذكره فى الحقيقة كاسم يا آنستى .

لودوفيكو : ولكنك أحسنت الكتابة عنه —

كانتافلله : — لا ، قلت : « قنصلنا فى سميرنه » لم أكن أعرفه أنا أيضاً ، كما لا أعرفه حتى الآن . كنت أتصور كل شىء فيما عدا أن يهبط هذا الرجل كالصاعقة من السماء إلى إدارة تحرير الجريدة بالأمس !

أرسيليا : (إلى نفسها من جديد ، فى يأس) يا إلهى . . . يا إلهى . . .

لودوفيكو : هل حضر إلى روما لهذا السبب ؟

كانتافلله : لا ، ليس لهذا السبب ! لقدحضر بسبب حادث الطفلة (التى روينا عنها) — ولأن زوجته « كما يقول » كالمجنونة . ويقول إنها لم تعد تستطيع أن ترى شيئاً ، هناك ، حيث وقعت الكارثة — وهذا مفهوم !

أرسيليا : نعم ، هذا ما كانت تقوله ، هذا ما كانت تقوله . . .

كانتافلله : ليطلب التغيير ، أتفهمون ؟ لقد قرأ الجريدة .

[يلثم طرف أصبعه]

مصيبة يا أستاذى !

لودوفيكو : لمـــــاذا ؟

كانتافلله : كيف ، لماذا ؟ لديه مركزه الرسمى الدقيق ليدافع عنه ، وأنتم تدركون : القنصل ! وهو يهدد برفع دعوى على الجريدة بسبب التشهير !

لودوفيكو : دعوى ؟ ماذا كانت تقول عنه الجريدة ؟

كانتافلله : مجموعة من الأكاذيب أساءت إليه !

لودوفيكو : أكاذيب ؟

أرسيليا : مازلت أجهل ما كتبتم عنه ، وعن زوجته ، وعن ذلك الحادث .

كانتافلله : أقسم لك يا آنستى ، أننى كتبت بأمانة كل ماقلته لى ، لا أكثر ولا أقل . وبحرارة ، وبالإحساس الذى شعرت به ، دون إضافة أى تغيير فى التواريخ أو الوقائع ، وزيادة على ذلك ، يمكنك أن ترى هذا بنفسك بقراءة الجريدة .

لودوفيكو : (الذى ذهب للتنقيب فى أوراق المكتب) لا بد أن تكون عندى . . . لابد أن تكون عندى . . .

كانتافلله : لاتهتم بذلك ، يا أستاذى ، سأبعث بها إليك .

[إلى أرسيليا

معذرة يا آنستى يجب أن تلاحظى ، الاهتمام الذى أردته لك ، لقد حضرت إلى هنا لأعرف ما يجب علىّ اتخاذه إزاء شكوى وتهديد هذا السيد .

أرسيليا : (ناهضة على قدميها ، فى قفزة وبغضب وحنق وخزى وتتحدث وهى تضغط على أسنانها تقريباً) ولكن ليس له أن يشكو ، ولا أن يهدد !

كانتافلله : وعلى ذلك ، عظيم جدا ، عظيم جداً !

أرسيليا : (تتهاوى بسرعة على الوسادة) آه يا إلهى . . . كم أتألم ! كم أتألم !
(تنخرط فى بكاء عميق ، فجأة ، وهى ترتجف من لحظة إلى أخرى فى غضب يبدو منها أيضاً ضحكات كالصهيل المتقطع ، وأخيراً تظل فاقدة الشعور) .

لودوفيكو : (مسرعا نحوها بعطف وبصحبة كانتافلله ليسعفها ويواسيها) أرسيليا ، أرسيليا ! لا !

كانتافلله : (كما سبق) يا آنستى ! أرجوك ! هدئى من روعك !

لودوفيكو : ماذا بك ، لا ! لا تبكى هكذا !

كانتافلله : ليس هناك مبرر يا آنستى !

لودوفيكو : يا إلهى ، أغمى عليها ! استدع ، استدع السيدة !

كانتافلله : (يجرى إلى الباب الرئيسى) سيدتى ! سيدتى !

لودوفيكو : (صائحا) يا سيدة أونوريا !

كانتافلله : يا سيدة أونوريا ! يا سيدة أونوريا !
[يخرج] .

لودوفيكو : لا ، لا يا أرسيليا ! يا إلهى ! اهدئى ، اهدئى ، لا شىء !
[يعود كانتافلله ، بصحبة السيدة أونوريا وهى تحمل فى يدها زجاجة ملح النوشادر] .

أونوريا : أنا هنا ! أنا هنا ! أوه ، يابنيتى المسكينة !
ارفع رأسها . . . هكذا ! يابنيتى المسكينة !
[تشممها ملح النوشادر]
قلت لكم ألا تدعوها تتكلم ! وألا تزعجوها !

كانتافلله : هاهى ذى تعود إلى رشدها !

لودوفيكو : يجب حملها إلى الفراش !

أونوريا : أنتظر ، انتظر !

لودوفيكو : أرسيليـا !

أونوريا : هيا ، هيا يا بنيتى ! انتهى كل شىء ! هيا ! .

لودوفيكو : هيا ، هيا ، تشجعى ، يا أرسيليا .

كانتافلله : لا شىء ، لا شىء يا آنستى الصغيرة !

أرسيليا : (بصوت فرح تقريباً ، وبدهشة صبيانية) أوه يا إلهى هل سقطت؟

لودوفيكو : لا ، لماذا ؟ قد أفزعتينا !

أرسيليا : ألم أسقط ؟

لودوفيكو : قلت لك لا !

أونوريا : حاولى ، حاولى أن تقفى على قدميك إذا أمكنك !

لودوفيكو : ها هو ، نعم : على مهل ، على مهل !

أرسيليا : لمـاذا ؟ — بدا لى أنى سقطت . . لست أُدرى وفى لحظة أصبحت باردة كالرصاص . .

[تنظر أيضاً إلى كانتافلله ولـكن بسرعة ، بمجرد أن تلمحه ، تشعر بفزع مثير وتنهض واقفة] .

لودوفيكو : لا ، هيا ، يا أرسيليا ، ماذا بك ؟

أوه يا إلهى ، لا ، لا !

[تترنح ، وهى على وشك الوقوع ويسندها بسرعة كل من لودوفيكو والسيدة أونوريا] .

لودوفيكو : لا ، هيا ، يا أرسيليا ، ما ذا بك ؟

أرسيليا : (تصلح من هندامها وتظل فى حيرة من رؤيتها لـكانتافلله وتحاول

الهرب) لنرحل ! لنرحل ! لنرحل ! لنرحل !

أونوريا : (كما سبق) نعم هيا ، لنذهب إلى هناك . . .

[تصحبها نحو باب المؤخرة يساعدها لودوفيكو] .

لودوفيكو : هيا ! إلى الفراش ، نعم ! هانحن نساندك . . .

أونوريا : على مهل ! على مهل ! سأبقى معك . . . وستتمددين .

لودوفيكو : قليلا من الراحة . . . وكل شيء يزول . . .

أرسيليا : لا أستطيع أن أرى . . . لا أستطيع سماع شيء . . .

أونوريا : (أمام الباب ، إلى لودوفيكو) انتظر هنا ، انتظر هنا سأهتم بها !

[تخرج مع أرسيليا من باب المؤخرة] .

لودوفيكو : يبدو لى أنه فى الإمكان تخليص هذه البائسة من العذاب !

كانتافلله : لا تقل لى ذلك فأنا فى غاية الألم ، يا أستاذى ! ولكن هذا لاشيء ! فهناك مصيبة أخرى لم تعرفها الآنسة بعد !

لودوفيكو : مصيبة أخرى ؟

كانتافلله : إيه نعم ! والأفضل أن تعلمها . لقد مر القنصل بنفسه على إدارة تحرير الجريدة ليخبرنا بها .

لودوفيكو : فلتبعث به إلى الجحيم !

كانتافلله : انتظر ! ليس لى أن أمتدح ولكنه تأثير هائل حقاً ، يا أستاذى ، كان تأثير « مقالى » هائلا جداً وعظيما للغاية . ويبدو أن خطيبة الشاب حانقة على الخداع الذى حدث هنا للآنسة ، ورفضت الزواج منه أتفهم ؟

لودوفيكو : آه فعلا !

كانتافلله : إن تأثيره هائل ! وفضلا عن ذلك فبمجرد اكتشاف السر، لم يسبب خجل الخطيبة فحسب، بل يبدو أيضاً أنه أثار وخز الضمير لديه، لدى الشاب. أتفهم؟ بالنسبة للشعور العام نحو الانتحار كما كتبت في مقالي : — لقد فقد اتزانه !

لودوفيكو : قائد السفينة هذا ؟

كانتافلله : هو، وهو يدعي . . . انتظر . . . يبدو لي، لا سيما أنه فقد اتزانه كلية ! — وأتى القنصل ليخبرنا بذلك !

لودوفيكو : وكيف علم هو، بذلك ؟

كانتافلله : لأن والد الخطيبة الموعودة ذهب على ما يبدو لمقابلته بوزارة الخارجية، وروى له كل شيء .

لودوفيكو : آه إنه خلط جميل للغاية !

كانتافلله : فعلا، وبالنسبة لك أنت أيضاً، يا أستاذي، حيث اندمجت هنا في الموضوع .

لودوفيكو : أنـا ؟

كانتافلله : وأنا، كيف لا ؟ إيه ! لقد اندمجت أنا أيضاً في الموضوع . . . تحت تهديد الشكوى . . .

لودوفيكو : والد الخطيبة هذا ؟

كانتافلله : أثار ضجة في كل مكان ! فأولا . اشمأزت الابنة، ولكن أتفهم ماذا حدث بعد ذلك ؟ — في عشية الزواج — بكاء وصرير أسنان، ويأس — ثم فراق . . . — بما أن القنصل تعرف على لاسبيجا هذا، هناك في سميرنه، حيث كانت تعمل الآنسة أرسيليا كمربية —

لودوفيكو : — هل ذهب إليه ليسأله عن بيانات ؟

كانتافلله : يبدو ذلك !

لودوفيكو : ولنتصور كيف أعطاه إياها ! إنهم يتهمونها بموت الطفلة أيضاً !

[فى هذه اللحظة ومن الباب الرئيسى ، الذى ظل مفتوحاً ، يندفع فرانكو لا سبيجا مذهولا ، ثائرا ، شاحباً ومرتعداً بعصبية كرجل لم يذق النوم طوال ليال عديدة ، وقد فقد اتزانه تقريباً. وهو يبلغ السابعة والعشرين من العمر أشقر فارع الطول ، نحيف وأنيق الملبس]

رانكو : بعد الاستئذان ؟ معذرة ! — أرسيليا ؟ أين هى ؟ أين هى ؟ إنها هنا ؟ أين هى ؟

لودوفيكو : (مذهولا ، وكذلك كانتافلله ، ومن هذا التدخل الفجائى) كيف ؟ من أنت ؟

فرانكو : أنا فرانكو لا سبيجا . ذلك ، الذى من أجله . . .

كانتافلله : آه ! السيد لاسبيجا ! — ها هو هنا !

لودوفيكو : أنت أيضاً هنا ؟

فرانكو : ذهبت إلى المستشفى : وكانت قد خرجت منها ! فذهبت إلى الجريدة ، حيث علمت . . .

[يتوقف ليلتفت نحو كانتافلله]

أرجو المعذرة : هل أنت الروائى لودوفيكو نوتا ؟

كانتافلله : أنا ؟ لا ! ها هو !

فرانكو : آه ! أنت ؟

لودوفيكو : (فى منتهى الجمود) أنا. بالله، كيف كان ذلك ! أيعلمون بذلك ، إذن ؟

كانتافلله : إيه ، يا أستاذى ، أنسيت من أنت ؟

لودوفيكو : (رافعاً ذراعيه بغضب) دعنى أرجوك !

كانتافلله : لقد أثارت حركتك ضجة !

فرانسكو : (فاقداً وعيه ومرتبكا) أية حركة ؟ يا إلهى، حدثنى عنها ! أليست هى هنا إذن ؟

لودوفيكو : (إلى كانتافلله وهو يلعن تقريباً) لم أتفق على عرضها فى الميدان. وأعرض نفسى معها !

كانتافلله : كلا ! ماذا تقول ؟

لودوفيكو : (ثائراً) أقول إنى أرهقت من كل هذا الضجيج !

[إلى فرانسكو]

إنها هنا منذ ساعة تقريباً

فرانسكو : آه ! أهى هنا ؟ وأين ؟ أين ؟

لودوفيكو : ذهبت لاصطحابها عند خروجها من المستشفى لم تكن تعرف أين تذهب فعرضت عليها استضافتها بمنزلى . معتزماً الذهاب للمبيت فى الفندق هذه الليلة .

فرانسكو : إنى لمعترف لك بالجميل . . .

لودوفيكو : (مندفعاً فى منتهى الحدة) لماذا تعترف لى بالجميل ؟ هل لأنى لم أعد شاباً ؟ ألهذا تعترف لى بالجميل ! فلنضع حدا لهذا ! . ماذا تريد من هنا ؟

فرانسكو : (بسرعة ، وبحدة) أنا ؟ إصلاح الموقف ، ياسيدى ، إصلاح الموقف ! أن أرتمى عند قدميها لتصفح عنى !

كاتنافلله : فى اللحظة المناسبة! عظيم! هذا من إنسان نبيل!

لودوفيكو : يبدو لى ، أنه كان عليك أن تفكر فى ذلك من قبل!

فرانسكو : معك حق ، نعم ، لم أكن أتخيل . . . كنت أريد ، أن أنسى ذلك . . . تركت الأيام تمر . . . ولكن أين هى ؟ هناك ؟ دعونى أراها!

لودوفيكو : إنه ليس بالوقت المناسب ..

فرانسكو : لا ، دعنى أحدثها ، أرجوك!

كاتنافلله : ربما من الأفضل إخطارها بذلك .

لودوفيكو : إنها فى الفراش .

كاتنافلله : لأن الفرحة ربما . . .

فرانسكو : مازالت مريضة ؟ مازالت مريضة ؟

لودوفيكو : أغمى عليها ، منذ قليل .

كاتنافلله : ستدرك أنه يمكن للعاطفة أن . . .

فرانسكو : (هازئا) يا إلهى ، لم أكن أظن ، ولم أكن أعتقد أن هذا الحلم... هذه النهاية ...ـ بضربة واحدة ، خلال حياتى ... حطمتنى... وكل صيحات بائعى الجرائد . . . شعرت وكأنها أمسكت بى وألقت بى أرضاً . . . وكذلك صيحة خطيبتى ، ووالدها ، وصيحة الوالدة . . . . والمستأجرين على الدرج . . . فأسرعت فى التو ، فورا إلى المستشفى . . . ولم يسمحوا لى برؤيتها . . . أى ضرر ، أى ضرر ارتكبته ضدهم ! إنى أرى العالم كله مليئاً بالضرر الذى ارتكبته ضده . . . وشعرت بأنى تحطمت وعلىّ أن أصلح ذلك ، علىّ أن أصلح ذلك!

كاتتافلله : نعم ، نعم ، عظيم ! لا نريد أكثر من ذلك ! فهو أفضل الحلول ».
إنى سعيد لذلك يا أستاذى ! سعيد !

[تأتى السيدة أونوريا فى هذه اللحظة من باب
المؤخرة ، ترفع ذراعيها وتشير عليهما بالصمت .
وتعيد غلق الباب بسرعة وتتقدم] .

أونوريا : اصمتوا ، اصمتوا ، أرجوكم . إنها سمعت كل شىء !

فرانسكو : علمت أننى هنا ؟

أونوريا : بالضبط ، نعم ، وانتابتها رعدات عنيفة وهى متبرمة وتهدد بإلقاء
نفسها من النافذة إذا دخلت !

فرانسكو : كيف ! لماذا ؟ ألم تصفح عنى ؟

كاتتافلله : (فى نفس الوقت) كيف ! على العكس . . . كان يجب . .

أونوريا : كلا ! إنها ملاك ! وتقول إنها لا تريد !

لودوفيكو : ما الذى لا تريده ؟

أونوريا : (إلى فرانسكو) تقول إنك يجب أن تعود إلى خطيبتك !

فرانسكو : (فورا وبصرامة وبقوة) لا ! انتهى ! انتهى كل شىء معها !

أونوريا : إنها لا تريد الآن ، وبسببها ، أن تسىء إلى فتاة أخرى ! ،

فرانسكو : لا ! إلى من ؟ إذا كانت هى الآن خطيبتى !

أونوريا : لم تعد ترغب فى ذلك !

فرانسكو : إنى حضرت هنا لتصفح عنى ، ولأعوضها عن كل الضرر
الذى سببته لها !

أونوريا : أرجوك ، تحدث بصوت منخفض ! حتى لا تسمع !

فرانسكو : (إلى لودوفيكو) اذهب ، اذهب وأخبرها بذلك ! لتقنعها !

لودوفيكو : نعم ، والإصلاح معقول !

فرانكو : أخبرها بألا تعد تفكر فى شىء على الإطلاق، فأنا هنا من أجلها، وإن واجبى قبل كل شىء لها فقط، وألا تفعل شيئاً ، أرجوك ، إزاء هذه الفرصة حتى يمكن إصلاح الموقف فى حينه ! اذهب ، اذهب !

[يدخل لودوفيكو إلى الغرفة التى بالمؤخرة] .

أونوريا : (فى عناد) إنها تفعل ذلك من أجل الخطيبة الأخرى !

فرانكوا : (ثائرا بغضب) إذا كان كل شىء انتهى مع الأخرى! كل شى انتهى!

أونوريا : إنها لا تريد ! إنها لا تريد !

فرانكو : كيف لا تريد ؟ لا يمكننى أن أتراجع الآن ! بالنسبة لى ، بالنسبة لى شخصياً لا أستطيع ! لأن كل شىء عاد أمام مخيلتى الآن .

كانتافلله : الماضى ! إيه بالتأكيد ! إنه التداعى !

فرانكو : إنه شىء ، يا إلهى ، لست أدرى كيف كان يبدو لى بعيدا ، بعيدا جدا ! مثلما حلمت ! لدرجة أنه ، لست أدرى ، وكأن تلك الليلة لم تكن فى الوجود ، ذلك الوعد . . . — الوعود التى وعدتها . . لأنه . . . نعم ، لأنه كان من اللازم تنفيذها فى حينه.

كانتافلله : وبعد ذلك ، يزول كل شىء . .

فرانكو : (متابعاً بحرارة) — اعتقدت ، اعتقدت أنه لم يعد من اللازم أن تشك ، وإنى أستطيع ذلك على الرغم من الخطابات التى استلمتها منها وكنت أمزقها وكأنها أشياء غير جدية . هذا غير معقول ، هذا غير معقول. كيف أستطيع تكذيب ، تكذيب نفسى ، وأن أفعل ما فعلته — بينما بالنسبة لها ، كان وعدى قائما وكان صحيحا ، صحيحا، ولم يكن حلما كما كان بالنسبة لى !

كان حقيقيا لدرجة أنه ، عندما وصلت هنا ، تجسمت خيانتى ـ إنى أفهم الآن ـ أنه كان ، كان بالنسبة لها كما هو بالنسبة لى ، والذى لمسته من بين تلك الصيحات بضربة قسوة الواقع المرير الذى عاد فجأة أمامى ، ينفجر ويتلاشى !

[يعود لودوفيكو جادا قلقا عازما]

لودوفيكو : لا ، لاشىء فى الوقت الحاضر ، مستحيل .

فرانكو : كيف يكون مستحيل ؟ ماذا تقول ؟ ماذا تقول؟

لودوفيكو : وعدتنى بأن تراه فى الغد .

فرانكو : أوه ياإلهى ، ولكنى سأجن فى هذه الليلة ! لا !

لودوفيكو : قلت لك محال ! محال فى الوقت الحاضر ؟

فرانكو : لم يغمض لى جفن منذ ثلاث ليال ! دعنى أقول لها كلمة واحدة ، على الأقل ، أرجوك ؟

لودوفيكو : (بثبات ، وتقريبا بقسوة) لافائدة من الإصرار !

[بلطف]

صدقنى ، سيكون سيئا بالنسبة لك !

فرانكو : لماذا ؟

لودوفيكو : دعها تفكر هذه الليلة . لقد تحدثت إليها ، وقلت لها . . .

فرانكو : ولكن لِمَ لاتريد ؟ إذا كان هذا بسبب الأخرى ، كما قالت ، فكل شىء انتهى ! ولكن معذرة إذا أرادت الانتحار من أجلى فلماذا لا تريد ؟

لودوفيكو : (نافذ الصبر) ستريد ! ستريد ! وبالله عليك ، انتظر إلى أن تهدأ !

كانتافلله : وأن تهدأ أنت أيضا !

فرانكو : لاأستطيع . . لاأستطيع . . .

لودوفيكو : (هادئا من جديد) أصغ إلىّ ! أنا واثق من أنها ستقتنع غداً !

[إلى السيدة أونوريا]

اذهبى ، اذهبى أنت ، أرجوك ! لاتدعيها بمفردها !

اونوريا : (مسرعة) نعم ، نعم ، إنى ذاهبة ، إنى ذاهبة . . .

فلتضىء المكان ، لم نعد نرى أنفسنا !

[تخرج من باب المؤخرة يدير لودوفيكو مفتاح الإضاءة الصغير]

لودوفيكو : ونحن على أية حال ، فلننصرف .

فرانكو : ألا يمكننى حتى رؤيتها ؟

لودوفيكو : ستراها غدا صباحا وستتحدث إليها وسأ كون هنا أنا أيضا والآن فلنخرج .

[ويشير إليه ليشرع فى الخروج]

كانتافلله : وسترى أنها ستدرك أن هذا أفضل الحلول .

لودوفيكو : (شارعا فى الخروج هو أيضا) فى هذه اللحظة يجب أن نتركها هادئة ! إنها تقاسى ، وتتصارع مع نفسها . . . تعالوا ، تعالوا .

فرانكو : (أمام الباب الرئيسى) ولكنى كنت أظن ، على العكس ، أن حضورى . .

لودوفيكو : (إلى كانتافلله دافعا إياه ليخرج) تفضل ، تفضل

كانتافلله : شكرا ، ياأستاذى .

[يخــرج]

لودوفيكو : (إلى فرانكو ، دافعا إياه ليخرج) تقدم ـ إن حضورك ، على العكس.

(يخرج بصحبة فرانكو ويغلق الباب الرئيسى من الخارج . ويظل المشهد خالياً لحظة . وتسمع ضوضاء فى الشارع . ثم يفتح باب المؤخرة ، وتدخل أرسيليا ، وهى فى حالة هياج شديد وما زالت تغلق المشدّ ، وتتبعها السيدة أونوريا . ويجب أن يؤدى المشهد التالى فى حماس بالغ) .

أرسيليا : لا ، لا ، أريد الرحيل ، أريد الرحيل !

أونوريا : إلى أين ، إلى أين تريدين الذهاب ؟

أرسيليا : لست أدرى ! أريد أن أرحل من هنا والسلام !

أونوريا : إنه لجنون !

أرسيليا : أريد أن أختفى ! أختفى ! هناك فى الطريق ! لست أدرى !

[تتناول قبعتها الصغيرة لتضعها فوق رأسها]

أونوريا : (ممسكة بها) لا ، لا ، لن أتركك تفعلين ذلك !

أرسيليا : دعينى ، دعينى ، لا أريد ، البقاء هنا !

أونوريا : لماذا ؟

أرسيليا : لأنى لا أريد سماع شىء ، ولا أريد رؤية أحد !

أونوريا : وهذا يعنى أنك لن تريه غداً !

أرسيليا : لا ، لا ، لا أحد ! دعينى أنصرف ، أرجوك .

أونوريا : لا أحد ، لا أحد ، سأخطر السيد نوتا ! لا تشكى فى ذلك !

أرسيليا : ما هو خطئى إذا كانوا أنقذونى ؟

أونوريا : خطؤك أنت ؟ ما هو الخطأ الذي تعنينه ؟

أرسيليا : إنهم يتهموننى ، يتهموننى !

أونوريا : لا ! ومن الذى يتهمك ؟

أرسيليا : كل الناس ، كل الناس ! ألم تسمعى ذلك ؟

أونوريا : لا ! إنه حضر ليطلب الصفح !

أرسيليا : أى صفح ! لقد ذكرت اسمه ، لأننى ظننت أننى سأموت ! والآن كفى ، كفى الآن !

أونوريا : حسناً ! ستقولين ذلك فى الغد للسيد نوتا . . .

أرسيليا : كنت أود أن أبقى هنا فى سلام ...

أونوريا : ولماذا لا تبقين ما دمت تريدين ذلك ؟

أرسيليا : لأنهم سيضايقونه ويرهقونه . . وسترين ذلك بنفسك !

أونوريا : السيد نوتا ؟

أرسيليا : بالضبط كما تقولين !

أونوريا : لا ، لا أعتقد ذلك ! إنه شاذ قليلا ، ولكنه رجل طيب . سترين أن السيد نوتا طيب فى قرارة نفسه .

أرسيليا : ولكن هناك ذلك الآخر ... ذلك الآخر ...

أونوريا : من ؟

أرسيليا : ذلك الآخر ، ذلك الذى لا أريد حتى أن أنطق باسمه ! إنه هدد الجريدة بتقديم شكوى !

أونوريا : القنصل ؟

أرسيليا : هو بالضبط ! لن يتركنى فى سلام .

[متمردة من جديد ، يائسة]

أوه يا إلهى ، أوه يا إلهى ! دعينى أرحل ، دعينى أرحل !

أونوريا : لا ! هدئى من روعك ، يا إلهى ! سيوقفه السيد نوتا عند حده ، ذلك القنصل ! ماذا يريد منك بعد أن عاملك بهذه الطريقة ؟

هدئى من روعك ، هيا ، هدئى من روعك . . . .

[تتهاوى أرسيليا ضعيفة فوق كرسى]

أترين أنك لا تستطيعين حتى الوقوف على قدميك ؟

أرسيليا : (بيأس) صحيح ، صحيح ... أوه يا إلهى ، ماذا ينبغى أن أفعل ؟

أونوريا : عودى إلى الفراش ، وكونى هادئة ! سأحضر لك بعض الطعام . وبعد ذلك ستنامين نوما هادئا . . .

أرسيليا : (بصوت خفيض ، وبخجل تلتفت نحوها ، وبثقة من تلك الثقات الودية المعروفة التى تتبادلها النساء فيما بينهن) ولكنك تدركين أنى ... أنى هكذا كما ترينني ، و ...

أونوريا : و . . . ؟

أرسيليا : ليس لدى شىء ... لا أملك شيئاً .. كانت عندى حقيبة صغيرة فى الفندق ، حيث كنت أقيم : ولست أدرى ما حل بها . لا بد أنهم حجزوها .

أونوريا : سنفكر فى سحبها غداً . لاتشغلى بالك بها . سأبعث أو أذهب أنا بنفسى .

أرسيليا : (كما سبق) نعم ، ولكن الآن ... أنا عارية .

أونوريا : (بسرعة فى إشفاق ، ومسعفة) سأفكر بنفسى ، سأفكر فى كل شىء ! اذهبى إلى الفراش ، واعتمدى علىّ ! هيا ، اذهبى ، سأعود حالا ، سأفعل ذلك سريعاً . .

[تخرج من الباب الرئيسى]

(تظل أرسيليا جالسة قليلا ، تنظر فيما حولها كالشاردة ، ثم تترك رأسها ينحدر جانباً ، منهكة القوى من يأسها . لكنها تتنفس

بصعوبة ، وتمرر يدها على جبهتها الباردة ، وهى تخشى أن يغمى عليها ثانية ، ثم تنهض ، وتذهب لتفتح النافذة . وتأتى فجأة ضوضاء الشارع مع الغروب وقد تناقصت عن ذى قبل ، ثم يتوقف كل شىء تقريباً. وتمر جماعة من الشبان وهم يصيحون ، أحدهم يغنى بطريقة خشنة أغنية عاطفية ، « ميموزا » ولكن الغناء يتوقف فجأة وسط الضحك والصراخ. تنتظر أرسيليا ، التى عادت للجلوس بالقرب من المائدة ، أن تبتعد هذه الجماعة من الشبان ، وأن تتوقف كل الضوضاء الحادة ، التى فى أسفل المكان ، ثم تقول وعيناها متصلبتان وبصوت خفيف .

أرسيليا : الشارع . . . .

« ستار »

الفصل الثانى

نفس منظر الفصل الأول ، الصباح التالى

يدخل فرانكو لاسبيجا من الباب العمومى ومعه لودوفيكو نوتا متبوعين بإمّا . يلبس لودوفيكو قبعته فوق رأسه ويضع فرانكو قبعته فوق الكرسى المجاور للباب الرئيسى وبعد ذلك بقليل ، يضع لودوفيكو قبعته هو أيضاً فوق الكرسى المجاور للباب الرئيسى.

لودوفيكو : (إلى إمّا) أين السيدة أونوريا ؟

إما : إنها هناك .

[تشير إلى باب المؤخرة]

مع الآنسة .

لودوفيكو : أتعلمين كيف قضت الآنسة الليلة ؟

إمـا : آه ، ليلة سيئة ! تألمت كثيراً ! وأعتقد أنها لم تنم طوال الليل ، ولا السيدة أيضاً .

فرانـكو : آه لو استطعت التحدث معها مساء الأمس !

لودوفيكو : (إلى إمّا) ادخلى على مهل ، وأخبرى السيدة أونوريا بأننى هنا .

إمّا : سمعا وطاعة ، يا سيدى .

[وهى تخرج من باب المؤخرة]

لودوفيكو : هل وردت خطابات ؟

إمّا : (وهى تلتفت) نعم يا سيدى . هناك فوق المكتب .

[تفتح باب المؤخرة دون جلبة ، وتخرج]

لودوفيكو : (يتحدث إلى فرانكو ، أثناء ذهابه لاستلام البريد فوق المكتب) على كل تفضل ، تفضل .

فرانكو : لا ، شكراً . لا يمكننى البقاء جالساً .

لودوفيكو : (لاهثاً) أوه يا إلهى ، سأفتح النافذة قليلا !

[يفتح إحدى النوافذ ، ويبدأ فى فحص الرسائل ، وهى ليست إلا صحفاً . تصل ضوضاء الشارع واضحة ، ثم مختلطة بضوضاء سوق الصباح وفى لحظة معينة يصدم ، فيطويها من جديد . ويقترب من فرانكو بجريدة ويشير بأصبعه إلى خبر من الأخبار]

انظر هنا ، اقرأ ، اقرأ هذا الخبر .

[يعطيه الجريدة]

فرانكو : (بعد الاطلاع) تكذيب ؟

لودوفيكو : فعلا . يقول إنه سينشره غداً .

[تدخل السيدة أونوريا من باب المؤخرة متبوعة بإمّا التى تذهب إلى الباب الرئيسى]

فرانكو : (قلقا عند مارأى السيدة أونوريا تدخل) آه هاهى ، ها هى ...

أونوريا : (تحرك يديها فى الهواء) يا لها من ليلة ! يا لها من ليلة !

فرانكو : كيف حالها الآن ؟ ألا تأتى ؟

أونوريا : إذا استطاعت . إنها تعلم أنك هنا أنت أيضا ، أظن ذلك ، لكن لا تزعجها ، أرجوك ! لقد نامت قليلا فى الصباح .

لودوفيكو : مع ضوضاء الشارع هذه . . .

أونوريا : لا . دخلت الخادمة وأخبرتنا أنك موجود مع شخص آخر ، فاستيقظت . وخشيت أن تعارض كمساء الأمس.

فرانكو : (كالمتوسل) لا ! لا !

أونوريا : لا ، قالت فى الواقع ، إنها تريد التحدث إليك .

فرانكو : آه ! حسناً ! اقتنعت !

لودوفيكو : نعم ! وإذا كانت لم تقتنع بعد ، فسنقنعها نحن .

أونوريا : إنى أشك فى ذلك . فبمجرد خروجكما مساء الأمس كانت تريد الهروب .

لودوفيكو : الهروب ؟

فرانكو : إلى أين ؟ ولماذا تهرب ؟

أونوريا : من يدرى ؟ هيا ! ـ قاومت كثيراً لمنعها ! ولكن لست أدرى ، لست أدرى كيف أخرجوها من المستشفى وهى على هذا الحال ! أنها لم تشف بعد !

لودوفيكو : (جامداً قليلا ، ببرود) فى الحقيقة ، عندما كانت معى ...

أونوريا : لا ، ماذا ! إنها تحملت آلام الجحيم فى المقاومة ، حتى لا تظهر أمامك أنها كانت تتألم . فهى تخشى أن تتألم أنت بسببها !

لودوفيكو : أنا ؟ لا . . . الآن بالأحرى ....

[يشير إلى فرانكو]

فرانكو : نعم ، نعم ، ! سأعالجها ، سأعالجها أنا !

أونوريا : إنى ذاهبة إلى هناك لحظة لأستريح : لم أعد أستطيع ، إنى أفقد توازنى من عدم النوم ! أوه لولا أنكم فى حاجة إلىّ . . .

لودوفيكو : نعم ، اذهبي اذهبي .

أونوريا : استدعونى اذا لزم الامر !

[تخرج من الباب الرئيسى ، لكنها ترجع إلى الوراء وهى تلتفت إلى لودوفيكو] :

أوه.لاحظ أن المسكينة الصغيرة لا تملك شيئا . حجزوا حقيبتها : فى الفندق ، أو فى القسم لست أدرى ! يجب أن تهتم بسحبها !

لودوفيكو : نعم ، نعم ، أفكر فى ذلك .

أونوريا : بسرعة . اليوم بالذات ! إنها . .

(تتراجع عن الكلام . وكأنها تقول : عارية . . . وتصرخ :)

يا إلهى ، ومع ذلك يجب أن تظهر ! هل تفكر فى ذلك ؟

فرانكو : سأفكر فى ذلك ، سأفكر فى ذلك ؟

أونوريا : أعتقد أنه من الأفضل أن تفكر فى ذلك أنت ، يا سيد نوتا .

لودوفيكو : (جامداً من جديد) حسن !

[يستطرد بنغمة أخرى :]

ولننتظر الآن إلى أن تطلب هى ذلك . . .

[يشير إلى أرسيليا]

أونوريا : أرجوك ، كن طيباً !

لودوفيكو : (بغضب) آه ، يروق لى ! إنك الآن ، تهتمين وتوصين بها خيرا ، وكنت بالأمس . .

أونوريا : بالأمس لم أكن أدرى شيئا ! يا إلهى ، يبدو لى ، عندما نرى فى

الطريق العام حيواناً صغيراً تائهاً بين حشد من الكلاب المتوحشة ، كلما كان أليفا ، كلما قفزوا فوقه يفترسونه ويمزقونه .
وهو شارد ، مهان ، هذا المسكين الصغير !

لودوفيكو : (بغضب) ستفهمين ، تبدو لى الآن شيئاً آخر .

أونوريا : من ؟ أنت ؟

[مشيرة بألم ، إلى أرسيليا]

لودوفيكو : إن القصة ، التى كنت أتخيلها ، متغيرة ! لا نستطيع أن نفعل أسوأ من ذلك فهذا الصحفى بخبره ، وذاك السيد .

[يشير إلى فرانسكو]

ثم ذلك القنصل ، الذى يقف فى طريقنا وهو يحتج . . .

[إلى فرانسكو]

هل رأيت ما فى الجريدة ؟

فرانسكو : القنصل جروتى هنا إذن؟

لودوفيكو : (بنشاط ليعطى مبرراً لغضبه) هنا ، هنا هو أيضاً ، كلهم هنا ! ويبدو أن والد خطيبتك ذهب أيضاً لمقابلته .

فرانسكو : (حائراً ، قلقاً) والد خطيبتى ؟ لماذا ؟

لودوفيكو : لست أدرى ، ربما للحصول على بيانات !

فرانسكو : (غاضباً) وماذا يدّعون ؟ بعد أن أغلقوا الباب فى وجهى ! آه ، إذن حتى القنصل جروتى وقف فى طريقها ؟

[يشير إلى باب المؤخرة ، قاصداً أرسيليا]

أونوريا : إيه ، كلهم ضدها !

لودوفيكو : يبدو ذلك . بل بالتأكيد ستفهمين ، إنى أعيش هنا مندمجاً فيما أكتبه .

فرانكو : (يحدث نفسه تقريباً ، بغضب) أريد أن أعرف لأى سبب ، القنصل جروتى .

لودوفيكو: ستعرف ذلك ! من وجهة نظرى قلت لك ، كنت مهتما بالحياة : أى الأشياء والأشخاص ، كما كنت أتخيلها بالطبع . والآن ، كل هذا التباطؤ وكل هذا الارتباك أفسد علىّ ، أفسد علىّ ، كل شيء لكن لحسن الحظ . أنت موجود هنا الآن .

فرانكو : نعم ، نعم ! إنى هنا ، إنى هنا !

أونوريا : كفى . إنى ذاهبة إذن .

[تضم يديها ، فى رجاء :)

لاحظوها قليلا !

[تخرج من الباب الرئيسى]

فرانكو : (مصمماً بحدة) إنى أفكر فى نقلها بعيداً . ولدى الوسيلة ، لدى الطريقة لأن ألازمها آه ، بعيداً ، بعيداً !

لودوفيكو: لا تبالغ كثيراً ! انظر ما الذى يحدث ؟

فرانكو : نعم ! ولكنها ؟

[يشير إلى أرسيليا]

لودوفيكو : إيه ، يبدولى أنها دليل المشكلة إنها موضع الجريمة .

فرانكو : نعم ، لكن ... ؟ لأنى أنا بالذات ، حتى « لا أكون مبالغا » كما تقول ، غدرت بها . وغدرت بنفسى قبلكم جميعاً ! وتركت البحر ، البحر ، لكى أغرق ، هنا ، فى مستنقع الحياة العادية .

لودوفيكو : إيه ، إلى حد ما لسوء الحظ .

فرانكو : (بحدة زائدة) لا الا عند ما نحاول أن نقنع أنفسنا بأنه من المحال أن نعيش كما نحلم ، وأنه من الصعوبة بمكان ، وغير واقعى ذلك الذى كان يبدو لنا سهلا ، فى الحلم سهلا ، لدرجة أنه كان يلمس !

لودوفيكو : فعلا ! لأن النفس ، يا سيدى العزيز ، تنطلق فى لحظات معينة من قيود البؤس العامة .

فرنكوا : إنه كذلك ، بالضبط ، يا سيدى !

لودوفيكو : إنها تبرز من المشاكل اليوميه الصغيرة ؛ ولاتنذر الحاجيات الدقيقة ، وتتخلص من المضايقات التافهة ومن الواجبات المتواضعة .

فرانكو : حسن جداً ! هكذا تكون فى حل ، وهكذا تتحرر ، وتتنفس الصعداء وتنبض فى جو ملتهم ، ملتهب ، حيث تصبح الأشياء الصعبة ، كما قلت سهلة للغاية .

لودوفيكو : وكل شيء فى مرونة ويسر وكأنه فى نشوة روحية . نعم ، ولكنها لحظات ، يا سيدى العزيز !

فرانكو : (فوراً وبقوة) لأن أنفسنا تستسلم بسرعة ، فهى لاتعرف المقاومة هاك السبب !

لودوفيكو : (مبتسما) لا ، لا ، لأنك لا تجيد التصويب ولا تعرف أى مزاح تخلطه ، وأية مفاجآت لطيفة تعدها نفسك ، وأنت تتنفس وتنبض فى الحماس السماوى لتلك اللحظات ، متحللة من كل القيود ، متخلصة من كل تأثير ، مذهولة ، مشتعلة ، فى لهيب الحلم . إنك لا تدرك ذلك : ولـكن فى يوم جميل — أو فى يوم ردىء — تحس بسقوطها إلى أسفل .

فرانكو : حقاً ! نعم ! لـكن لا يجب الاستسلام ! بالضبط ! ينبغى ألا نترك أنفسنا تسقط إلى الحضيض ! ولهذا أكرر أنى أريد أن أبتعد بها بعيداً ، أن آخذها حيث واصلت حياتها فى انتظارى مسرورة واثقة . وهى تحلم بالحلم السعيد ، الحلم الذى كان بالنسبة لى ظـلاما شاملا — فى عقلى وضميرى — والذى بدا كأنه جنون ، وبسببه أصبحت عاقلا وراضياً ، وكأننى أعطيت نفسى تجربة حكـ . . . حكيمة واعية ولـكنى أشعر الآن ، أشعر بأنى وجدت نفسى ، وجدت نفسى : والفضل فى ذلك يرجع لها بالطبع .

لودوفيكو : لا تبالغ ! سترى كيف هوت .

فرانكو : سأرفعها ! سأرفعها !

[يفتح باب المؤخرة : وتظهر أرسيليا]

آه ها هى !

[بمجرد رؤيتها ، يخاطب ، نفسه تقريباً بمرارة]

يا إلهى . .

[تدخل أرسيليا ، متهدلة الشعر ، منكسرة شاحبة للغاية ، وتذهب بثبات يائس نحو لودوفيكو]

أرسيليا : إنى أرفض ، إنى أرفض ذلك ، يا سيد نوتا ! لااريد حتى هذا الاقتراح ! اقتراحك . . لا ، لا ، مستحيل ! إنى أرفض كل شىء ، كل شىء !

لودوفيكو : ماذا تقولين ! لاحظى من هنا !

[يشير إلى فرانسكو]

فرانسكو : أرسيليا ! أرسيليا !

أرسيليا : أنت . . من الذى استدعاك ! أترى من أكون ؟ وماصرت إليه ؟

فرانسكو : (يقترب منها ، بشغف) إنى أرى أنك أصبحت هكذا ، ولكن أنت أرسيليا خطيبتى ، انت أرسيليا خطيبتي !

[يحاول معانقتها]

وستعودين أرسيليا خطيبتى !

أرسيليا : (متراجعة بفزع) لا تلمسنى ! لا تلمسنى ! دعنى !

فرانسكو : كيف ؟ تقولين لى ذلك أنت ، أنت التى يجب أن تكونى خطيبتى ، خطيبتى كما كنت من قبل ؟

أرسيليا : آه ! هذا شىء مؤلم لا يطاق حقاً ! ماذا ينبغى أن أقول ، ياإلهى ، كيف أستطيع أن أجعلك تفهم أن كل شىء بالنسبة لى كان يجب أن ينتهى ؟

فرانسكو : ولكنه لم ينته ! وأنت تعلمين أنه لم ينته ، إني هنا من جديد معك !

أرسيليا : ما كنته بالنسبة لى فيما مضى — لا يمكن أن تكونه اليوم !

فرانسكو : لم لا أكونه ! لم لا ! إنى نفس الشخص ! نفس الشخص !

أرسيليا : ولهذا السبب — أقول لك — إننى أنا لن أستطيع أن أكون نفس الشخص ، والله عالم بما أقول !

فرانسكو : هذا غير صحيح ، إنك حاولت الانتحار من أجلى — وقلت ذلك ، وعليه ؟

أرسيليا : (حزينة وفى غاية الحزن) وعليه — هذا غير صحيح !

فرانسكو : غير صحيح ؟ كيف

أرسيليا : ليس صحيحاً — ليس من أجلك ! ولم أبحث حتى عنك . . . — إنى كذبت!

فرانسكو : كذبت ؟

أرسيليا : نعم ! قدمت مبرراً .. المبرر الأخير الذى كان يجب أن يكون ! وكان فى تلك اللحظة صحيحاً ، والآن لم يعد كذلك .

فرانسكو : لم يعد كذلك ؟ لماذا لم يعد كذلك ؟

أرسيليا : لأنى لسوء حظى ، لا زلت أعيش الآن ، لازلت حية !

فرانسكو : لسوء حظك ؟ إنه لحسن الحظ !

أرسيليا : آه لا ، شكراً ! حظ سعيد ! أتريد أن تحكم علىّ بأن أكون تلك التى أردت قتلها ؟ لا ،لا ، كفاها ذلك ! ـ دعها فى هدوء .دعها مع المبررات التى قدمتها حينئذ ! والتى لم تعد لها قيمة الآن ، لا بالنسبة لى ، ولا بالنسبة لك، ـ كفى !

لودوفيكو : معذرة ، لماذا لم تعد لها أية قيمة ؟

فرانكو : إذا كنت حاولت الانتحار لهذا السبب ..

ارسيليا : بالضبط ! حاولت ، الانتحار لأموت ! لأنهى حياتى ! وبما أنى لم أمت لم يعد لذلك قيمة !

فرانكو : وكأنى لا أستطيع إصلاح الموقف . . . إنى أستطيع ذلك !

ارسيليا : لا ! لا !

فرانكو : كيف لا ؟ وعليه ، يبدو لى أن ذلك الذى كان بالنسبة لك مبرراً للانتحار ، يمكن أن يكون مبرراً للحياة الآن .

لودوفيكو : إنه لكذلك !

فرانكو : وأنا هنا من أجل هذا !

ارسيليا : (بلهجة أخرى فجائية وبإيجاز . ضاغطة على مقاطع الكلمات . ومصاحبة الحروف بحركتها من السبابة وخنصر يديها مجتمعين) يصعب علىّ حتى التعرف عليك .

فرانكو : (متباطئاً) أنت - التعرف علىّ أنا ؟

ارسيليا : (ترفع فجأة ذراعيها إلى السماء وتتجه للجلوس ، بين حيرة الاثنين اللذين يتأملانها كما نتأمل شخصاً نكتشف فجأة أنه مختلف تماماً عما كنا نتخيله من قبل . وبعد سكون تقول) : لا تجعلانى أجن .

[صمت آخر ، ثم بنفس اللهجة السابقة]

ألا يصعب عليك أنت أيضاً التعرف علىّ ؟

فرانكو : (بانقياد ومتألما) لا ، لا .. أيبدو لك هذا ؟

أرسيليا : أوه ، أتدرى ، لدرجة أنى لو كنت رأيتك من قبل ، مااستطعت أن أقول ما صرحت به . . .

فرانكو : ماذا ؟

أرسيليا : إننى انتحرت من أجلك . هذا غير صحيح ! — لكن ولا حتى الصوت ولاالعينان . — هل كنت تحدثنى بهذا الصوت ؟ هل كنت تنظر إلىّ بهاتين العينين ؟ ـ كنت أراك ـ . . من يدرى كيف كنت أراك !

فرانكو : (متجمداً) إنك تبعدينى عنك يا أرسيليا . . . تجعـ . . . تجعليننى أشك فى نفسى . . . وفيك . . .

أرسيليا : لأنك لا تستطيع أن تدرك هذا الشيء الفظيع ، أن تعود إليك الحياة ، هكذا . . كـ . . كذكرى ، والتى بدلا من أن تشعر أنت بها ، تأتى لك ، وليس فى الحسبان ، من الخارج . . . متغيرة لدرجة يصعب عليك التعرف عليها . ولا تجد لها مكاناً فى نفسك ، لأنك أنت أيضاً تغيرت ، ولم تعد تنجح فى الشعور والإحساس بها ، رغم أنك كنت تعيشها ـ ولكن ليس بالنسبة لك ! ـ كما كنت تتحدث ، وكما كنت تنظر ، وكما كنت تتحرك فى ذكرى الأخرى ، دون أن تكون أنت !

فرانكو : ولكنى أنا يا أرسيليا ! أنا الذى أعود لأكون ذلك ، أريد أن أكون ذلك بالنسبة لك من جديد !

أرسيليا : لا تستطيع . يا إلهى . ألا تفهم ؟ لأنى واثقة عند مارأيتك الآن

أنك لم تكن ذلك أبداً !

فرانكو : أنـا ؟

أرسيليا : لماذا تدهش ؟ لقد أدركت الآن ، أنك حتى أنت كان لديك نفس الإحساس عند ما سمعتنى أتحدث .

فرانكو : نعم ، هذا صحيح ! لأنك تقولين الآن أشياء . . .

أرسيليا : أشياء حقيقية ! لماذا لاتريد الاستفادة منها ؟ كل الناس يمكنهم الاستفادة منها ما عداى — ! وليس هذا ذنبك .

فرانكو : يا إلهى ، ما الذى لم يكن ذنبى ؟

أرسيليا : ذلك الذى فعلته معى .

فرانكو : إذا كنت أتيت إلى هنا من أجل ، هذا فكيف لم يكن ذنباً ؟

أرسيليا : فى الحياة ، إيه ، فى الحياة ، يحدث دائماً ، ويمكن حدوثه ؟

فرانكو : إنما ينتابنا ندم كالذى أشعر به الآن ، أتدرين أنه ندم حقيقى ؟ ليس ما أعترف به نحوك واجباً بسيطاً !

أرسيليا : ولكن إذا علمت أننى لم أعد تلك التى تظنها والتى كنت تتخيلها . . .

فرانكو : (يائساً عند مايسمعها تتكلم هكذا) أوه ، يا إلهى ، ماذا تقولين ؟

أرسيليا : وأنت يا سيد نوتا — إنها إنسانة أخرى ! وأقسم لك أننى حاولت أن أكون تلك التى كنت تتخيلها ! — فبالنسبة لها ، نعم ، بالنسبة لها ، كنت أستطيع : لأنه كان يتطلب منى أن أعيش فى أوهام فنك ! — ولكن لا ، ياسادة ، فالحياة — أترى ؟ الحياة التى حاولت أنا أن أنتزعها من نفسى ، لا تريد

أن تتركنى : لقد غرزت أنيابها فىّ ، ولا تريد أن تتركنى .
هاهم أولاءِ هنا جميعاً ما زالوا فى أعقابى ! — إلى أين ينبغى
أن أذهب ؟

لودوفيكو : (بصوت خفيض إلى فرانسكو) قلت لك ذلك . يجب أن
تستعيد الآنسةهدوءها تدريجياً ، و . . .

أرسيليا : أتريد أن تعذبنى أنت أيضاً الآن ؟

لودوفيكو : أنا لا _ على العكس !

أرسيليا : ما دمت تعلم أن ذلك محال !

لودوفيكو : معذرة ، لم لا ؟

أرسيليا : آه ، يمكن ألا يكون شيئاً ذا أهمية بالنسبة لك ، ذلك الذى
أدركته : بل على العكس وكان من الضرورى إدراك ذلك !
وفكر جيداً فى أن ذلك الذى تتخيله ، قاسيته أنا ، وتحملت
الخزى والعار !

لودوفيكو : آه ، لهذا السبب ؟

ارسيليا : أخبره بذلك ، أخبره بالذى فعلته حتى ينصرف !

لودوفيكو : لا شىء ! ولا يستطيع أحد أن يعتب عليك فى هذا !

أرسيليا : إذن ، أقول له أنا ! — لتعلم أننى قدمت نفسى لأول رجل كان
عابرا فى الطريق !

لودوفيكو : (بسرعة وبحدة إلى فرانسكو الذى يخفى وجهه بيديه) نتيجة
اليأس ! فى عشية الانتحار ! أفهمت ؟

فرانسكو : نعم ، نعم ! أوه . يا أرسيليا . . .

لودوفيكو : وفى الصباح التالى . تناولت السم فى الحديقة العامة ، لأنها لم يكن لديها فى كيس نقودها ما تدفع به حساب الفندق ! أفهمت ؟

فرانسكو : نعم ! ولهذا يتزايد ندمى ، وأنا ملتزم بتعويض الضرر الذى سببته لها !

أرسيليا : (بصيحة حانقة) لا ، لست أنت !

فرانسكو : أنا ، أنا ! ومن سواى ؟

أرسيليا : (فى منتهى الحنق) ــ أتريد أن أقول كل شىء ــ أن أوضح كل شىء ؟ حتى ذلك الذى يجعل الإنسان لا يثق حتى فى نفسه ؟

[تتوقف لحظة لتمالك نفسها ، ثم تقول بثبات
وعزم وهى تنظر أمامها بنظرات جنونية]

قدّرت بفتور الاشمئزاز الذى أحسست به ، لأرى ما إذا كنت أستطيع المقاومة ! فنثرت المساحيق على وجهى ، قبل الخروج من الفندق ، ودسست السم فى الحقيبة داخل أنبوبة من الزجاج . وكانت معى ثلاث من هذه الأنابيب فى الحقيبة . كنت أشتغل مربية ، وكنت أستعمل هذا النوع للتطهير وذودت المساحيق على وجهى و نظرت إلى نفسى فى المرآة المواجهة التى فوق الصندوق بالفندق . ليس قبل محاولة الانتحار فحسب بل عندما خرجت لأنتحر . وعلى مقعد تلك الحديقة وفى لحظة معينة ، لم أكن أعرف ، ولم أكن أرغب فى أن أعرف ذلك الذى فعلته . وكان يمكننى أن أستأنف التجربة ، لو كانت الظروف سمحت بذلك ، لو أن أحداً مرّ

ورقت فى عينيه أو راق هو لى، ما كنت فكرت فى الانتحار .
ـ وضعت المساحيق وقليلا من أحمر الشفاه ، وارتديت خصيصا
هـذا الفستان الأزرق .

[تنهض]

لـكنى إذا كنت أنا هنا الآن، معذرة ، فماذا يعنى هذا ؟ يعنى
أنى انتصرت على الاشمئزاز ، بعد أن قارنته بالموت . لست
هنا لدى رجل كتب إلىّ ، دون أن يعرفنى ، ليستضيفنى .

فرانـكو : (بتصميم فجائى) أنصتى ! أعرف ذلك ، أعرف لماذا تتكلمين
هكذا ، لأنك تحاولين أن تمزقى هذه اللذة .

أرسليا : (فوراً وبعنف) أنا ؟ إنـكم أنتم !

فرانـكو : آه ، أترين ؟ إنك تجيدين التمثيل ! أتشعرين به وكأنه قسوة
الآخرين ؟ ولماذا لا تريدين من أحد من هؤلاء ، على الأقل
الذى استيقظ ضميره ، أن يصلح هذه القسوة ؟

أرسليا : كيف ! بأن أقاسيها ثانية ؟

فرانـكو : لا . . .

أرسليا : (تؤكد عباراتها) قلت لك إننى تظاهرت ، وقلت لك إن
ذلك غير صحيح ، وقلت لك أننى كذبت ، وأكرر لك
ذلك ! ولم يكونوا هم السبب ! ولم تـكن أنت ! — كانت الحياة ،
الحياة التى أحياها — دون أن أستطيع المقاومة ! — يا إلهى ،
ياله من يأس ! ـ أى شىء ينبغى أن أقوله حتى تبتعد عنى ؟

[تسمع طرقات بعنف على الباب الرئيسى]

لودوفيكو : من هناك ؟ تفضل !

[ينفتح الباب وتدخل إمّا]

ماذا تريدين ؟

إمّا : السيد القنصل جروتّى.

أرسليا : (فى صيحة) آه، لقد جاء ! إنى أنتظره !

لودوفيكو : أيريد التحدث معى ؟

فرانسكو : وأنا هنا أيضاً !

إمّا : لا ، إنه يطلب محادثة الآنسة .

أرسليا : نعم ، نعم ، دعونى ، دعونى أتحدث معه على انفراد، أرجوكم !

[إلى إمّا]

دعيه يتفضل !

[تخرج إمّا]

من الأفضل ، من الأفضل أن أتحدث إليه . كأول مرة ، من الأفضل ذلك !

[يدخل القنصل جروتى ، أسمر ، متين البنية ، تجاوز الثلاثين من عمره بقليل ، يرتدى ملابس سوداء ، وفى عينيه وكل ملامح وجهه تعبير حزين مع صلابة وتحد]

أرسليا : تفضل ، أيها السيد القنصل .

[تقوم بتقديمه إلى لودوفيكو]

السيد القنصل جروتّى .

[ثم إلى جروتى :]

السيد لودوفيكو نوتا —

جروتى : (منحنيا) أعرفه بالشهرة .

أرسيليا : (مواصلة الحديث) — والذى تفضل من كرم باستقبالى لديه .

[تشير إلى فرانكو]

والسيد لاسبيجا ، إنك تعرفه .

فرانكو : إنك عرفتنى فى ظروف مختلفة والآن أنا هنا ! — .

أرسيليا : (مقاطعة بسرعة) أرجوك ، لا تتكلم !

فرانكو : لا !

[إلى جروتى]

انظر !

[يشير إلى أرسيليا]

انظر بعينيك إلى هذه التى طلبت منك يدها !

أرسيليا : (مرتجفة) أرجوك لا تواصل الحديث !

فرانكو : لا أواصل الحديث !

[إلى جروتى]

يكفيك هذا الازدراء ، والحالة التى وجدتها فيها لأشرح لك السبب الذى من أجله أنا هنا !

أرسيليا : (مرتجفة ساخطة) دع حالتى ! قلت لك إنه ليس لديك أى مبرر

لتسكون هنا ، ويطيب لى أن أكرر لك ذلك الآن أمامه ، وأن يعرف أن غضبى هو بالضبط لعنادك هذا وعدم رغبتك فى فهم الأمور !

فرانكو : نعم ، أيروق لك أن تسكررى لى ذلك . لأنك تعلمين أن والد خطيبتى ذهب لمقابلته ؟

أرسيليا : (مذهولة) لا ، لم أعلم بذلك !

[ناظرة بارتباك وفى قلق بالغ إلى جروتى ، وهى تبذل جهداً لتملك نفسها]

آه . . . وأنت . . . هل حدثته عنى ؟

جروتى : (ببرود وثبات) لا ، يا آنستى : وعدته بأنى سأحضر للتحدث معك .

فرانكو : (بسرعة وبعنف) آه ، لا طائل وراء ذلك . وأنت تعلم ذلك !

أرسيليا : (فجأة بتعاظم وازدراء) دعونى أتحدث بمفردى مع السيد القنصل !

[فى نفس الوقت ، وبلهجة أخرى إلى لودوفيكو]

أرجوك ، يا سيد نوتا . . . .

لودوفيكو : إيه ، بالنسبة لى . . . .

[يستعد للخروج]

فرانكو : (بعزم يحجز لودوفيكو) لا ، لا ! أنتظر !

[إلى أرسيليا بقسوة صارمة]

سأنصرف أنا ؟

[إلى جروتى]

قبل أن أذهب من هنا ، أريد أن أقول للسيد القنصل لكى ينقله إلى من يهمه ذلك ، أنه لا طائل وراء ذلك ، لا طائل وراء ذلك ، لأنها لا يجب أن تقول لك ذلك .

[يشير إلى أرسيليا :]

يجب علىّ أن أقوله أنا ! —

[إلى أرسيليا :]

وهذا ما أقصده — بالتأكيد — وحتى أمامك ! - إنى رجوتك حتى الآن ! واستعطفتك ، واستسلمت لسماع قولك ، وأنا ممزق ، بسبب الأشياء القاسية ، وكفى الآن ؛ والآن أحدثك أنا باسلوب آخر ! - إنك حرة فى إبعادى ، ولكن هذا ليس معناه أننى ينبغى أن أعود إلى التى ، بعد أن شعرت بحق ، كأى شخص ، عندما قرأت قصتك البائسة ، بالغضب والخزى لسلوكى ولدرجة أنها أغلقت الباب فى وجهى . والآن تندم وترسل إلى هنا وسطاء !

جروتى : لا ! إنا لست هنا من أجل هذا !

أرسيليا : وأنا قلت لك أن سلوكك ، من وجهة نظرى ، لم يكن له أثر مطلقا فى تصرفى اليائس !

فرانكو : ليس صحيحاً !

أرسيليا : كيف ؟ فهنا السيد نوتا ، الشاهد على ذلك ..

فرانكو : آه ، نعم ، إنك قلت ذلك !

[إلى جروتّى]

أفظع الأشياء التى .. « لا يجرؤ أحد حتى على مصارحة نفسه بها ! »
اتضحت لى من نفسها — ولكن لدى ضميرى ؛ حتى إذا كان
ضميرك يأمرك بأن تدفعنى بسبب الضرر الذى سبّبته لى !
فضميرى ، بأى حال من الأحوال

[يشير إلى جروتّى]

لا يتغير ! ويمكنه أن يقول لك أو يمكنك أن تقول له ، أونتما
متفقان فى مصلحة الآخرين ، هذا ما كنت أريد أن أقوله لك ـ

[إلى لودوفيكو]

والآن لنذهب فأنا أعلم أنك معى وتؤيدنى — إلى اللقاء أيها
السيد القنصل !

[يتجه نحو الباب الرئيسى]

جروتى : (بانحناءة خفيفة من رأسه) إلى اللقاء .

لودوفيكو : (يقترب من أرسيليا ويقول بصوت خفيض وبلهجة ودية مواسية) على كل سأوجه اهتمامى لحقيبتك وآمل أن أحضرها لك بعد قليل .

أرسيليا : (متأثرة) شكراً ، واعذرنى ياسيد نوتا .

لودوفيكو : لا تقولى ذلك !

[إلى جروتّى]

إلى اللقاء

جروتى : احترامى .

[يخرج لودوفيكو وفرانكو من الباب الرئيسى . عند ما يغلق الباب تتقلص أرسيليا بسرعة وهى ترتعد كلها ، ناظرة بهلع نحو جروتى الذى يلتفت نحوها مرتعشاً ، فى استنكار ، ليصعقها بنظرته مزدرياً . وهى غير قادرة على مقاومة ذلك . فتخفى وجهها بيديها وقد انكمشت على نفسها ورفعت كتفيها ، وكأنها أحست بغضبه ينصب عليها]

جروتى : (يقترب منها مهدداً ويقول بصوت خفيض كالصفير الحاد تقريباً من بين أسنانه)

غبية ! غبية ! غبية ! تكذبين بطريقة صبيانية !

أرسيليا : (تتأوه فزعة منتحبة وما زال منكبها مرتفعاً طلبا للاحتماء) ولكنى انتحرت فعلا !

جروتى : (سابًا) ولماذا تكذبين بعد ذلك ؟ لماذا تسبّبين هذا الندم له ؟

أرسيليا : (مستعدة للدفاع عن نفسها) لا ، لم يكن من أجلى ، ألم تفهم ؟ يقول إنه لم يفعل ذلك من أجلى ! صحت فى وجهه ؛ أقسم لك بأنى صحت فى وجهه لأقول له بأنى كذبت عند ما قلت إننى انتحرت من أجله !

جروتى : (بازدراء وغضب) إذا كان لم يصدق ! ألا تلاحظى أنه لم يصدق ذلك ؟

أرسيليا : (ناهضة بازدراء) وماذا أستطيع عمله ؟ إن الذى لا يجعله يصدق هو الندم الذى لديه .

جروني : (باقتضاب) أتجرئين أنت على التحدث عن ندم الآخرين ؟

أرسيليا : وماذا تعتقد ؟ هل ينبغي أن يكون لدى أنا أكثر من الآخرين؟
إن لدى أقل منهم ! نعم ! نعم ! — نعم ! — آه أعرف ذلك :
أنت لاتعرفه لأن شجاعة الإقدام على الانتحار كانت لدى أنا ،
ولم تكن لديك أنت !

جروني : أنا ؟ أنتحر ؟

أرسيليا : لا ، هدئ من روعك : لأن الندم لم يكن حتى بالنسبة لى ! أمّا
بالنسبة لك ، ففى وسعك أنت أن تتحمله لأن لديك من المال
مايساعدك على ،ذلك . أما أنا ، فقد وجدت نفسى فى منتصف الطريق ؛
عارية . وعليه ،أتدرى؟ كان من الصعب علىّ ،بل من المحال تقريباً أن
أقدم على الانتحار! كانت تظللنى سحابة من اليأس وراودتنى ذكرى
الطفلة ، وبعد أن أحسست بآخر إهانة : استطعت أن أقدم على
فكرة الانتحار !

جروني : ألم يمكنك تجنب الكذب حتى فى تلك اللحظة ؟

أرسيليا : دون رغبة منى فى ذلك ! — ولأنه كان صحيحاً ما وعدنى به
هناك .

جروني : نعم ، مازحاً !

أرسيليا : ليس صحيحاً ! ولكنه كان شريراً للغاية حينئذ : لأنه بعد
الرحيل ، دون أن يعرف شيئاً عما دار هناك ، بينك وبينى ،
خطب واحدة أخرى وكان يستعد للزواج منها .

جروني : ولكنك كنت تعلمين ما حدث بينك وبينى : وكذبت !

أرسيليا : ألم يكن أسوء ما كان يفعله هو ، دون أن يعلم شيئاً عن عارى ،

كان يخوننى هنا ، بزواجه من الأخرى ؟

جرونى : إن وجوده هنا الآن دليل على أنه لم يفعل ذلك بشكل جاد !

أرسيليا : غير صحيح ! ولم يكن هكذا ، كما رأيته أنت بنفسك الآن! وإنك تقول هذا بالنسبة لنفسك ، لأنه يروق لك افتراض ذلك ، لتجد مبرراً لما فعلته ، من وراء ظهره ، بعد أن رحل !

جرونى : وأنت أحدثت هنا كل هـذه الضجة الآن لتمنعيه من الزواج بالأخرى ؟

أرسيليا : لا ، لم أفكر فى ذلك ! قلت ذلك ، عند ما ظننت أنى سأموت ! لم أرغب فى منعه من الزواج بها ! ولن أريد منعه !

جرونى : إنه لم يخنك ، وقد جاء بنفسه إليك طليقاً مستعداً للوفاء بوعده ؟

أرسيليا : (بفزع) لا ، لا ! مطلقاً ! لم أخدعه ! أقسم لك برحمة الطفلة أنى لم أخدعه ! ولم أذهب حتى للبحث عنه ، ويمكنه أن يقول لك ذلك بنفسه ! وبسبب خيانته هذه التى كانت حقيقة فعلية ، قلت تلك الأكذوبة ، بأننى انتحرت من أجله

جرونى : ألم تذهبى للبحث عنه ؟

أرسيليا : لا !

جرونى : وكيف علمت إذن بزواجه القريب ؟

أرسيليا : آه ، نعم . . . . ذهبت . . ذهبت . . . إلى وزارة البحرية .

جروتى : أترين ! لو لم تذهبى للبحث عنه ؟

أرسيليا : (بيأس متزايد ومهددة) يجب عليك أن تشكرنى !

جروتى : عن أى شىء ؟ عن ذهابك للبحث عنه ؟

ارسيليا : لا ! — بمجرد أن أخبرونى بأنه سيتزوج من أخرى قريباً . وأنه نقل من وزارة الحربية شعرت بأن فكرة الانتقام لم تعد لدى . هل تعتقد أنى مخطئة فى ذهابى إلى وزارة الحربية وفكرة الانتقام تمالكنى ؟ أنت لاتعلم بأية حال نفسية صعدت درجات سلم الوزارة ، وصلت هناك ضائعة شاردة بعد أن طردتنى زوجتك بتلك الطريقة ، وبعد الحادثة المفجعة ، وفى تلك اللحظة الرهيبة ، وسط صياح المارة الذين كانوا يرفعون جثة الطفلة التى هوت من الشرفة -- كنت يائسة . كنت كالشحاذة التى لا تجد نجاة إلا فى الموت ، أو الجنون . وكمجنونة ، ذهبت لأروى له كل شىء ، كل شىء بالتفصيل .

جروتى : عن كل منا ؟

ارسيليا : لا ! عنك أنت ! عنك أنت الذى استفدت بعد رحيله ـ

جروتى : ـ أنا فقط ؟ ـ

أرسيليا : ـ نعم ، عما أصبحت فيه ! ـ وأحذر أنى أستطيع أن أقول كل شىء الآن ـ أن أقول ذلك الذى لايجرؤ أحد على قوله ـ أن أبوح بالسر ، بسر الموضوع ، أن أعلن عن حقيقة المجانين ، عن الأشياء البشعة المخزية التى لا يفكر الإنسان فى الإقلاع عنها — فى أن يخفى خزيه وعاره ! - لقد اغتصبتنى عندما كنت ملتهبة من النار التى أوقدها فى جسدى حينئذ عندما لمسه مرة ولم أستطع المقاومة ! وتنكر أنى عضضتك ! وتنكر أنى مزقت بأظافرى رقبتك وذراعيك ويديك !

جروني : أوه جبانة ! إنك كنت تثيرينى !

أرسيليا : غير صحيح ! غير صحيح لم يحدث على الإطلاق ! إنك أنت !

جروني : فى المرة الأولى ، نعم ! ولكن بعد ذلك ؟

أرسيليا : أبدا ! أبدا !

جروني : لقد أمسكت بذراعى خفية !

أرسيليا : غير صحيح !

جروني : غير صحيح ؟ كاذبة ! لقد وخزتنى مرة بالإبرة فى كتفى !

أرسيليا : لأن سيادتك لم تتركنى فى هدوء !

جروني : تقولين لى الآن سيادتك !

أرسيليا : لأنى كنت خادمتك !

جروني : وكان عليك الطاعة ؟

أرسيليا : الجسد ، الجسد الذى كان يستسلم ! أما قلبى فلا ، أبداً ! بل كنت أشعر بالحقد !

جروني : كنت تشعرين ! بلذة ! بلذة !

أرسيليا : لا ، بكره ! بكره ، بقدر ما كنت تمنحنى من لذة ، نعم ! بعد ذلك ، مزقتك مثل خجلى نفسه ! لم أرض على الإطلاق لقلبى الذى كان يدمى . بعد أن شعرت بنفس اللذة عند ماخنته ، قلبى ، عند ما خنته كلصة وقحة ! كنت ألمح ذراعى عاريتين وكنت أعضهما ! كنت أستسلم ،أستسلم دائما ؛ ولكنى كنت أشعر فى قرارة نفسى أن قلبى لا يستسلم أبداً ! ـ آه ، أيها

الجبان ! إنك بالخديعة انتزعت منى السعادة الوحيدة التى كانت لدى ـ السعادة التى كانت تبدو لى غير حقيقية تقريباً ـ السعادة بشعورى كخطيبة .

جروتى : بينما كان هو يستعـد هناك للزواج بأخرى .

ارسيليا : أترى ذلك إذن ؟ الجميع أفاقون ! وأنت تأتى لتواجهنى بأننى أنا ؟ أنا ، لأننى لم أستطع أن أكون شيئاً ما . . يا إلهى ، ولا حتى شيئاً ما . . . ماذا أدرى ، شيئاً من الصلصال يشكل باليد ، والذى يتهشم إذا تهاوى ، وعلى الأقل فالحطام على الأرض يقول لك إنه كان شيئاً ما ، وهو الآن لم يعد له وجود ! — إنه حياتى . . . يوما بعد يوم . . . لم يستطع أحد أن يكون لى ... أنا كل شيء ، كما أرادوا لى أن أكون ، فى كل مناسبة .. دون أن أستطيع أن أدرك نفسى . . . ممزقة هنا وهناك . . مشتتة . . . . ولا شيء يسمح لى بأن أقول : إنى هنا أنا أيضاً ! ـ

[تغير فجأة لهجتها وتلتفت نحوه ، كحيوان مجلود :]

ولـكن ماذا تريد الآن ! لماذا أتيت إلى هنا ؟

جروتى : لأنك تـكلمت ! هذا هو السبب ، بسبب ما قلته ! بسبب ما فعلته ! إنك أردت أن تموتى ـ

أرسيليا : كان علىّ أن أصمت ، أدرك ذلك ! وحجر فوقى ووداعا !

جروتى : حجر ـ لقد ألقيت به فدوى دويا كأنه سقط فى جدول ماء ؛ فثار المـاء والوحل ولطخ كل الناس ؛ وتلطخنا به جميعاً .

ارسيليا : ــ ولم يعد يجرى الوحل !

جروتى : أحاطك كمستنقع من حولك !

ارسيليا : وتريد أن أغرق بمفردى ، وأن تبدأ حياتك هانئا هادئا ، كالمعتاد ، وهو ، بعد أن اكتشف فضيحتى معك ، عاد إلى خطيبته ، وأنت إلى شئونك بالقنصلية ؟

جروتى : أعود إلى حياتى التى عرقلتها فى لحظة عين ، أنت يا ملعونة ، لقد أربكتنى ! ماذا تعتقدين ! إننى كنت غارقا فى تلك الغباوة الحمقاء ، فى قليل من الرذيلة التى قضيتها معك ؟ لقد كلفنى ذلك غالياً ! التعاسة طول حياتى وموت طفلتى !

ارسيليا : كنت أنت السبب ! كنت أنت السبب ! كان دائما أمام عينى ، المقعد الذى لم تترك لى الفرصة لأنقله من الشرفة ، حيث صعدت مع الطفلة .

جروتى : ولماذا صعدت ؟ كان مكانك هناك بجوار الغرفة التى تنام فيها زوجتى ، المريضة ، حتى تكونى مستعدة لتلبية ندائها ، إذا نادتك . لماذا ذهبت إلى الشرفة ؟

أرسيليا : كنت أشتغل وكانت الطفلة تلعب .

جروتى : لا ! لقد ذهبت هناك خاصة ، حتى آتى لأبحث عنك !

ارسيليا : أيها السافل ! كنت ستبحث عني حتى فى تلك الغرفة المجاورة لغرفة زوجتك .

جروتى : لا ، لا .

أرسيليا : أنكر ذلك ! كأنك لم تفعل ذلك عدة مرات ! ولم أكن أشعر أننى فى مأمن حتى فى تلك الغرفة . .

جروتى : لأنك كنت ترغبين فى ذلك الأنك كنت ترغبين فى ذلك أنت أيضا !

أرسيليا : لا ، لأننى ، وراء محاولاتك الفاضحة وإصرارك ، رضيت بذلك أنا أيضاً بينما كنت ساخطة ـ حتى لا تسمعنا هناك زوجتك . . . ـ هكذا يجب أن تقول ! ـ آه إنى واثقة الآن ومتأكدة أن هناك صوتاً داخلياً كان يحدثنى ، ويقول لى ألا أترك ذلك المقعد هناك ، لأن الطفلة التى كانت تلهو بألعابها فى الشرفة كان فى إمكانها أن تتسلق السياج وتسقط ! — لم يمكننى أن أستمع إلى ذلك الصوت لأنك — أتتذكر ؟ — كنت تصر ، كالوحش ، من عند الباب الصغير للشرفة ، وكنت تلح ! والآن أحلم به ، أحلم به دائماً ـ إنى أراه ـ ذلك المقعد ـ هناك ـ كابوس فى الحلم ـ لم يكن لدى الوقت لرفعه . .

[تنخرط فى البكاء ـ سكون]

جروتى : (تائهاً وكأنه فى حاجة لأن يرى نفسه بعيداً عن هذا الرعب ، بينما تواصل أرسيليا البكاء ، مرتجفة ، فى استسلام) كنت أعمل . . . وكنت . . . كنت كالغريب عن نفسى ، دائماً . . . كل شىء للآخرين . . . لم أكن أفكر إلا فى العمل ؛ لأسد الفراغ الذى كنت أشعر به فى حياتى نحو المنزل الذى كنت أحلم به ولم أستطع الحصول عليه ، بسبب السيدة التى قابلتها ،

الحزينة ، المريضة ، الكئيبة . وأتيت أنت . . . . كيف عاملتك في بادئ الأمر ، كيف عاملتك ؟

ارسيليا : (بلطف وسط البكاء) معاملة طيبة .

جروفي : لأني كنت في حاجة إلى أن أفعل الخير نحو الآخرين ، بقدر ما كنت أشعر بآلام حياتي التعيسة ، أن أتحمل كل شئ ، حتى يتنفس الآخرون بحرية في هذه الحياة . ولأجعلها جميلة للغير حتى أستطيع التمتع بها أنا أيضا : أنا الذى كنت محروما منها . كيف صورتك أمامه ، عندما أتى فى السفينة الحربية ؟ ما الذى لم أخبره به عنك لتكونى سعيدة وليكون هو متيما بك ! كنت أكثر وداعة من ذى قبل نحو زوجتى لتكون سعيدة هى أيضاً ، وأن تعمل على إطراء فتنتك وإنجاح مشروعى لإسعادك ، دون النظر للسعادة التى أنالها من حصولك عليها ، تلك السعادة . ـ وعند ما رأيتكما أنتما الاثنين متيمين . . . . لا ، لا ـ لم يكن ذلك لأنى أدركت أنكما قطعتما شوطاً كبيراً ، وأنك استسلمت له . . . — وهذا ما أغضب زوجتى ، ولست أنا : هذا ما أفقدها كل تقدير لك ـ

ارسيليا : أنا أولا ، لم أسلم نفسى لأحد ، ! كانت دوامة ، كانت دوامة . . . الليلة السابقة لرحيله !

جروفي : أعرف ذلك ! وأشفقت عليك . . . ولم أفكر أبداً فى اتهامك . ولم أحاول أبداً الاستفادة ، لو أنك ـ

أرسيليا : ـ أنا ؟ ـ

جروتى : (فوراً) ـ لا لأنك أردت ذلك! ولـكن . . . لست أدرى ..
كيف نظرت إلىّ ذات مساء عند ما كنا نترك المائدة . . .
لأنك كنت لا تعتقدين! وشعرت بأنك كنت لا تعتقدين ! بأنى
أستطيع أن أكون طيباً لأحقق سعادتك ها هو , ها هو . . .
ولأنك لا نعتقدين فى هذا ، أفسدت كل شىء ! لأنى أنا كنت
فى حاجة لتعتقدى بالاحتفاظ بى ، حتى تتغلبي على أية محاولة ـ

أرسيليا : ـولـكنها ليست محاولتى ! ليست محاولتى ! ـ

جروتى : ـ لا ، إنها محاولتى أنا ! ولـكن إذا كنت اعتقدت فى عدم
اهتمامى ، وفى طيبتى ، التى كانت حقيقية ، فلم يكن للوحش أن
يؤثر فجأة فىّ بجوعه اليائس . وحتى الآن عند ما أراك
من جديد . بعد أن بذرت الموت ، والخلاف الذى لا علاج
له بينى وبين زوجتى . . .

[يقترب منها بحقد ، مهددا :]

لا ، أتدرين ؟

أرسيليا : (متراجعة ، مذعورة) ماذا تريد ؟

جروتي : أريد أن تبكى ، أن تبكي معي ، معى ، علي الضرر الذي
ارتكبناه !

أرسيليا : أكثر مما بكيته ؟

جروتى : لا أريد أن أشعر بالتمزق بمفردى لوفاة طفلتى ، وبأن تسلمى نفسك إليه ، وكأن هذا الشىء الفظيع لم يحدث !

أرسيليا : لا ، لا ! لن يكون أبدا ! ويمكنك أن تتأكد من ذلك : سأظل هنا مع الذى استقبلنى ـ

جروتى : لن يكون ذلك ممكنا ! ألا ترين أنه على وفاق مع الآخر ؟ وقد ذهبا سوياً . — سيكون فى ذلك الوقت قد نال منك ما يكفى ، ولن يبدو له حقيقة الاعتقاد بأنها حماقة ، إذا لم تقبلى الآن ندمه والإصلاح الذى يقدمه لك !

أرسيليا : إذا كنت قد قلت له إننى لا أرغب فى ذلك !

جروتى : نعم ؛ إن عنادك الغير معقول لا يمكن أن يقبلاه ، لا هذا ولا ذاك ! ولم تقولى له السبب الحقيقى الذى من أجله ترفضين !

أرسيليا : حسناً ! إذا لزم الأمر ، فسأقول له !

جروتى : وبذلك ، سيبدو له بشعاً ذلك الذى فعلته ، والكذب الذى قلتيه واللغط الذى حملتيه معك ، والزواج الذى ألغى عشية الاحتفال به ، والفضيحة ، والشفقة المنتزعة ، ورحمة الجميع ـ

أرسيليا : (ضعيفة وتوشك تقريباً على الإغماء) هذا صحيح . . . هذا صحيح . . . ولكنى . . لم أكن أرغب فى هذا . . . قلت له هو أيضا إنى تكلمت ، وإنى كذبت ؛ لأنى كنت أعتقد

أن كل شيء انتهى . — إنها ليست بأشياء يمكن قولها ! قبيحة للغاية ! نعم ، بشعة ـ استطعنا أن نقولها نحن ـ هكذا ، الآن ـ لأنه خزى مشترك . ـ وكيف يمكنك أن ترغب ولماذا تريد أن تكتشف ؟

جروتى : إنى شعرت بالإثارة من أكذوبتك ، وبمجرد أن علمت من والد الخطيبة ما سببته ، وسخط تلك الخطيبة ، وندم ورغبة خطيبك فى الإصلاح ، لست أدرى ، كيف استطعت تمالك نفسى أمام ذلك العجوز ؛ فأسرعت إلى الجريدة لأكذب ما كان يخصنى ! ولا تدركين مبلغ الغضب الذى اشتعل فى نفس زوجتى عند ما قرأت تلك الجريدة ؛ كانت تريد أن تسرع إلى هناك ، إلى منزل خطيبته لتكشف عن كل شيء ، لماذا طردت من المنزل ، وكيف فجأتنا معاً نحن الاثنين ! وكان علىّ أن أعد وأؤكد أن خداعك ذلك ، كان طائشاً على أية حال ، وأن تلك العائلة سوف تستعيد السلام ، على الأقل — أتفهمين ؟

أرسيليا : (ضعيفة وتوشك على الإغماء) أفهم ... أفهم ...

[سكون . تظل تنظر قليلا أمامها ، حزينة ، وتقول :]

حسناً .

[تنهض سكون آخر ، وتضيف :]

إذهب وسيتم ذلك .

جروتى : (ينظر إليها ، تائهاً) ماذا ستفعلين ؟

أرسيليا : قل لى ما ينبغى أن أفعله .

جروتى : (بعد صمت ، يواصل تأملها) إنك أكثر يأساً منى . . . كم تغيرت . . . كم تغيرت . . .

[يتجه نحوها ، يحاول معانقتها]

أرسيليا . . . أرسيليا . .

أرسيليا : (بكبرياء بالغ تبعده فجأة) آه لا ، بالله عليك ، دعنى !

جروتى : (عائداً إليها ومعانقاً إياها بشغف) لا ، لا . . . أنصتى ، أنصتى . .

أرسيليا : (وهى تقاوم) دعنى ، قلت لك !

جروتى : (مواصلا معانقتها بشغف) فلنوحد يأسنا !

أرسيليا : (بصرخة حتى يتركها) الطفلة ! الطفلة !

جروتى : (مبتعداً بسرعة ، يمسك رأسه بيديه كالمصعوق) أيتها السفاكة !

[صمت ، يرتعد تماماً مرتبكا]

سأفقد عقلى . . . .

[يقترب منها]

إنى فى حاجة إليك ، إليك . . . فنحن الاثنان تعساء . .

أرسليا : (تجرى نحو إحدى النوافذ) انصرف . . . انصرف . . .
سأصيح ...

جروتى : (يتبعها) لا . . . لا . . . أنصتى . . .

أرسليا : (تفتح النافذة) سأفتح وأصيح ! ـ هاهو ذا !

[تجتاح المشهد ضوضاء الشارع الخفيفة . وعندئذ ، تأمر
لمصاحبة الحركة بالقول .)

انصرف !

« ستــار »

الفصل الثالث

نفس المنظر ، نفس اليوم ، حوالى المساء

تقف السيدة أونوريا بإحدى النوافذ ، التى تدخل منها ضوضاء الشارع المعتادة، والتى تهدأ تدريجياً عند انتهاء النهار . تقف فى مواجهة إحدى نوافذ المنزل المقابلة ، وتفترض أن هناك جارة تتحدث معها السيدة أونوريا ، بينما توشك إمّا على إزالة الغبار وترتيب غرفة المكتب .

أونوريا : إيه نعم ، سأقول له ذلك . . .

[صمت]

حتى الظهيرة ، ولكن هل تعرفين كيف ذلك ؟ إنه ليس مثل نوم الليل . . .

[صمت]

ماذا تقولين ؟ أنا لا أسمع . . .

[صمت]

آه ، نعم ، خرجت الآن ، مع السيد نوتا . . . نعم ، لتتسلم الحقيبة رفضوا تسليمها إليه .

سترين أنهم لن يسلموها إليها هى أيضاً :

أونوريا : (تواصل حديثها خارجاً) إيه ، لم يستطع من قبل .

إما : لن يكون كل يوم هكذا ، نأمل ذلك !

أونوريا : (ملتفتة نحو إمّا) ما الذى كنت تقولينه ؟ لم أفهم منك شيئاً !

إما : إنى أتولى إعداد الغرفة فى هذه اللحظة . فهاهو ذا المساء .

أونوريا : (تستطرد الحديث تجاه الخارج) سيكون السيد نوتا واحداً . .
ماذا تريدين ؟

[تبدأ فى الضحك]

يبدو أنه يريد الاحتفاظ بها معه . . .

[صمت]

لا ، لا تريد أن تعرف شيئا عن ذلك ! . . . قبلها . . . .

[صمت ، ثم باندفاع]

لا ، لا ! محال ! إنك أخطأت الرؤية : مستحيل !

[صمت ، ثم تنحنى ، وتحى بيديها]

نعم ، إلى اللقاء ، إلى اللقاء !

[تغلق النافذة]

ماذا تقول ! إنها رأت هنا ثلاثة رجال ، وإنهم قبلوها الثلاثة
جميعهم .

إما : والقنصل أيضاً ؟

أونوريا : ماذا ! إنها خدعت ! مستحيل .

إما : سمعت كليهما يصيحان عالياً ، عند ما كانا بمفردهما !

أونوريا : ألم . . . ألم تسمعى ما قالاه ؟

إما : أوه ! لم أسترق السمع — فى أثناء عبورى الدهليز ، سمعتهما يصيحان فقط ولكنها كانت هى تصيح بصوت أعلى منهما .

أونوريا : كنت أود أن أعرف ماذا كان يريد القنصل من هذه المسكينة، ولماذا جاء إلى هنا ، بعد أن ذهب للاحتجاج ضدها فى الجريدة ، مهدداً بتقديم شكوى .

إما : إنه لا يريد أن تعود إلى خطيبها .

أونوريا : وبأى حق يقول لها ذلك ؟ إنها بالأحرى، هى التى لا تريد ؛ وفى رأيى أنها مخطئة !

إما : إنها تفضل أن تبقى هنا مع عجوز نصف مجنون ـ

أونوريا : لديه منها ما يكفيه ! لديه منها ما يكفيه ! وأعتقد أنه أفهمها ذلك !

إما : ربما سيكون من الأفضل لها ، أن تقتنع بالذهاب مع الآخر .

أونوريا : ربما ، أتدرين لماذا ؟ لأنه لم تعد لديها ثقة من ناحية الشاب . مع أنه يبدو لى الآن أنه ندم فعلا .

إما : ويبدو لى أنا أيضا .

أونوريا : ولكنها تشك فى تلك الفتاة التى هجرها الآن .

إما : آه ، وبالنسبة لى لم أكن لأشك ! أنها أوشكت على الموت !

أونوريا : إيه ، ولكنها تدرك جيداً معنى أنها مهجورة ! وكان ذلك واضحاً فى الجريدة ! ـ سيشب الحقد الآن . ينبغى أن تفهم أنه هنا ،

السيد نوتا . . .

[تأتى بحركة من وجهها]

إنى رأيتها ، عند ما خرجت معه . لقد بدا لى أن على عينيها ، لست أدرى ، مايشبه الحجاب : كانت تنظر ولاترى ؛ وكانت لا تستطيع الكلام ، ولا أن ترفع يدها . فسألتها كيف حالك ، فابتسمت لى ابتسامة معينة جعلت البرودة تسرى فى عروقى ؛ وكانت يدها باردة ، باردة . .

[تتوقف لحظة وتنصت ؛ ثم ، بلهجة مغايرة :]

أوه ، أنصتى ! يبدو لى أن تاجر الخردوات هو الذى يصيح : نعم ، اذهبى ، اذهبى لشراء الخيط . مترين ونصف ، كما قلت لك . سأناديه من هنا .

[تخرج إما وهى تجرى من الباب الرئيسى]

[وتسرع السيدة أونوريا إلى إحدى النوافذ ؛ وتفتحها ؛ وتنحنى لتنظر إلى أسفل الشارع وتشير بحركة إلى تاجر الخردوات لكى يتوقف ؛ وتمكث فى المواجهة وفى أثناء هذا الوقت ، يدخل من الباب الرئيسى فرانكو لاسبيجا حزيناً ، مضطرباً]

فرانكو : (فى وسط الضوضاء المرتفعة من الشارع ، ويقول وهو على عتبة الباب الرئيسى ، مرتين)

بعد الاستئذان ؟ بعد الاستئذان ؟

أونوريا : (تستدير وتعيد غلق النافذة) أوه ، أأنت ، يا سيد لاسبيجا ؟ تفضل ، تفضل . لن يتأخر ، سيعود السيد نوتا ، مع الآنسة بعد قليل .

[بصوت خفيض ، تقترب :]

قاوم ، قاوم ، ستظفر بها قريباً !

فرانكو : (ينظر إليها ، أولا ، كشخص لم يفهم ، ثم بغضب مكتوم ، ساخراً) نعم ، نعم ! سترين ! سترين الآن كيف سأتصرف !

أونوريا : (بثقة)أتعلم أنها أوقفته عند حده ؟ ويجب أن توقفه عند حده أنت أيضاً ، ذلك القنصل .

فرانكو : (من بين أسنانه) مسكينة . . خداع . . .

أونوريا : معها الحق ، معها الحق ! آنسة مسكينة !

فرانكو : (غاضباً ولم يستطع السيطرة على أعصابه) أية آنسة ! لا تقولوا آنسة ! أتعرفين من هي هذه ؟ فاجرة ، فاجرة !

أونوريا : (مترنحة تقريباً) أوه يا إلهي ، لا ! ماذا تقول ؟

[يدخل في هذه اللحظة السيد لودفيكو نوتا وقبعته على رأسه من الباب الرئيسي]

لودوفيكو : (وقد لمح فرانكو) آه ، أأنت هنا ؟

[إلى أونوريا وملمحاً عن أرسيليا :]

ألم تعد بعد ؟

أونوريا : (تلتفت نحوه مذهولة ، دون أن ترد عليه ، ثم تتجه إلى

فرانسكو) أهذا ممكن ؟

لودوفيكو : (الذى لم يفهم) ماذا ؟

فرانسكو : (فى حزم متباهياً . وبتكلف) علمت زوجة القنصل جروتى بحضور زوجها هنا ، هذا الصباح لمقابلة خليلته ـ

لودوفيكو : (مذهولا ، فجأة) من ؟

أونوريا : (تلتفت نحوه مذهولة ، وبدون أن ترد عليه ، تتجه إلى فرانكو) هى ؟ خليلة القنصل ؟

فرانسكو : خليلته ، نعم يا سادة ، خليلته! وقد ذهبت زوجة القنصل صباح اليوم إلى منزل والد خطيبتى لتبلغهم عن هذه الخيانة !

لودوفيكو : خيانة الآنسة دراى ضد خطيبها ؟

أونوريا : عشيقة الزوج ؟

فرانسكو : نعم يا سيدتى ! ولست أدرى عما إذا كانت كذلك قبل أو بعد أن طلبتها كزوجة . أريد معرفة هذا ! وأنا هنا لهذا السبب !

أونوريا : كيف ؟ . . . إذن ؟ . . . أوه يا إلهى . . . يبدو أنى سأجن حقاً !

فرانسكو : وهل تعلمون كيف أو متى اكتشفت الزوجة الخليلة ؟ بينما كانت الطفلة تسقط من الشرفة .

أونوريا : (فى صيحة ، تخفى وجهها بيديها) أوه يا إلهى !

فرانسكو : فاجأتهما معاً ، وطردتها كسفاحة ، لأن كليهما تركا الطفلة بمفردها

فى الشرفة !

أونوريا : سفاحان ، آه ! سفاحان حقاً !

فرانسكو : لو لم يشتركا لأرسلت إلى السجن ، إلى اللبان ! وبعد أن ارتكبت هذا ، أتفهمين ؟ —

أونوريا : — نعم فهمت ،وكانت لديها الشجاعة —

فرانسكو : — لتأتى وتحطم حياتى ! —

أونوريا : ولكن الجميع ، يشفقون عليها !

فرانسكو : هل يدركون مذا فعلت بى ؟

لودوفيكو : (إلى نفسه تقريباً) يبدو أنها أشياء لا يمكن تصديقها . . .

أونوريا : وتظهر بمظهر القديسة الشهيدة الطاهرة . . . إنه خداع !

فرانسكو : تبدد كل شىء فى الهواء . . والفضيحة العامة . . .
ودم خطيبتى بدا لى أنه ضرب من الجنون ! لست أدرى ، كيف لم أجن !

أونوريا : لهذا السبب ، لهذا السبب كانت تريد الفرار ! بمجرد رؤيتك ، وبمجرد أن علمت أن الآخر هنا ! يا للخداع ! توقعت أن أكاذيبها ستنكشف !

[تغير لهجتها ، وبغضب :]

إنى أدينها من أجل الدموع التى ذرفتها من أجلها .

[إلى لودوفيكو ، فجأة :]

آه ، واعلم ! أننى لا أريدها بعد اليوم بالمنزل ! ولن أرغب فى هذه الفضائح فى منزلى !

لودوفيكو : (منزعجاً ولاهثاً) انتظرى . . . انتظرى . . .

أونوريا : لا لا لا لا ! ماذا أنتظر ! هيا ! لا أريدها ! لا أريدها !

لودوفيكو : اصغى ، بالله عليك ! إنى لم أدرك الموضوع بعد . —

[إلى فرانسكو :]

معذرة : كيف حدث أن القنصل . . . ؟

[يقاطع]

أتعلم أن القنصل ، هو بنفسه ، أول من احتج ضد الجريدة ؟

فرانسكو : هذا واضح !

لودوفيكو : لا . كيف يكون واضحاً ؟ يبدو لى طالما هما عاشقان أن يكونا على اتفاق !

فرانسكو : لأن الزوجة كانت معه ! الزوجة التى عرضت على تلك الجريدة الفضائح فى حقها !

لودوفيكو : (متذكراً) آه ، فعلا — فعلا ، فعلا . فعلا ، فى الواقع ، نعم . . . — لهذا كانت مضطربة جداً عندما علمت أنه ورد بالجريدة —

أونوريا : — إن تلك السيدة المسكينة أرسلتها لقضاء بعض الحاجيات .

فرانسكو : لابد أنها الزوجة التى أجبرته على هذا التكذيب .

لودوفيكو : إذن ، فهذا كله خداع —

فرانسكو : —سافلة !سافلة !—

لودوفيكو : — إنها حاولت الانتحار من أجلك ؟

أونوريا : ولكن كيف يمكن أن تكذب بوقاحة هكذا !

لودوفيكو : (مفكراً ، بين نفسه تقريباً) إيه نعم . . . فى الواقع . لهذا السبب مانعت فى قبول أى إصلاح منك . .

فرانكو : أردت أن يوضح لى هذا خاصة !

أونوريا : سيد مسكين ، فعلا !

لودوفيكو : (مصدوماً أكثر من حدة أونوريا مما دفعه إلى اتخاذ موقف معاد لفرانكو أيضا) لا ، معذرة ، يجب على الأقل أن تعترف بأنها عرفت خطأها .

فرانكو : متى ؟ عند ما رأتنى هنا ، مستعداً لإصلاح ذلك الذى كنت أظنه جريمتى .

لودوفيكو : أدرك ، أدرك ذلك ـ

فرانكو : وهذه ، فلتحذر ، إن أفضل الحالات عندى ! أريد أن أقول ، بأنها أصبحت عشيقة القنصل ، فيما بعد ! ولو كانت كذلك من قبل ، لاحتملت هذا الخداع المذرى من كليهما ـ تتصور ذلك ؟

لوودفيكو : لا ! هذا ـ

فرانكو : ـ قلت لك إنى هنا للتأكد من ذلك !

لودوفيكو : وماذا تنوى عمله ؟ لا يمكنك أن تنكر ، معذرة ، بأننى عارضت بوضوح وبشدة هذا الموضوع .

فرانكو : إنى أتكلم عما مضى ! عن الخداع الماضى !

لودوفيكو : إيه لا ، معذرة ، إنها ـ على أية حال ـ لا تحتمل شيئاً على الإطلاق.

فرانكو : آه لا ؟ وكيف ؟ إنى —

لودوفيكو : (بثبات) لاشىء ولا حتى من قبل ـ معذرة، فأنت كنت تزمع الزواج هنا بأخرى !

فرانكو : لا ، انتظر !

لودوفيكو : دعنى أتكلم ! كان لديك البديل لها أيضا ، على ما يبدو لى ، قبل أن تعرف الخداع الذى ارتكبوه معها !

فرانكو : وخداعى ، إذا كان ولابد ، ليس له حساب ؟ هل يستبعدونه ؟

لودوفيكو : لا ، بالتأكيد ! ولكن لم يعد لك الحق فى أن تطلب حسابا من أحد . كن صبوراً !

فرانكو : (بعنف) نعم ، يمكن أن تعطينى الحق ! يمكن أن تعطينى الحق! لأنهما ارتكبا الخيانة ، وأتماها ، بينما أنا على العكس ، ألغيت زواجى ، وأسرعت إلى هنا !

لودوفيكو : عندما علمت بأنها حاولت الانتحار .—

فرانكو : (بعنف) ـ ليس من أجلى ! واعترفت هى بذلك بنفسها ! أوه عظيم ! إنها ترد لى خيانتى ، وتقريباً ، إنه يمكن ، بالنسبة لتلك الخطيبة ، أن يصبح تصرفى هذا خيانة !

لودوفيكو : لا ، لا — انتبه — أنا لا أفرض عليك شيئا — أريد أن أثبت لك أنك محق فى نقطة واحدة فقط : وهى أنها كذبت ، وهى تقول — دون أن يكون لها الحق — إنها انتحرت من أجلك . وبصراحة ، لم أدرك سبب هذه الأكذوبة ، وبالذات فى لحظة

الموت ! فبعض الأكاذيب يمكن أن تفيد للحياة وليس للموت . وبالنسبة للحياة فمن المؤكد أنها تعلم بأنها عديمة الجدوى .

فرانسكو : أنت الذى تقول إنها عديمة الجدوى !

أونوريا : إذا كنت لا تريد أن تدخل الوقائع فى الاعتبار !

لودوفيكو : آه ، فعلا ! هذا صحيح ! إنه خطأى ، هذا . لم أنجح أبداً فى إدخال الوقائع فى اعتبارى !

أونوريا : لا بأس ، اعترف به هو بنفسه ! أتعلم ما هى الوقائع ؟ إنها أنقذت : وهذا رقم واحد !

فرانسكو : وإن الأكذوبة أفادتها ! نعم يا سيدى ، مفيدة إذا لم تكن بالنسبة لى — مفيدة لأنها وجدت هنا رجلا مثلك .

أونوريا : ولنتصور : كاتبا روائياً !

لودوفيكو : أحمق : فعلا .

فرانسكو : (فوراً) لا أقول هذا !

لودوفيكو : لايهمك ، قل ، قل !

أونوريا : يمكنك أن تقول ذلك ، إنه قاله هو بنفسه !

فرانسكو : من المؤكد أنها خدعت — أووه ! — وهى ترى أكذوبتها مقبولة وترتقى فى المجال الفنى : هذه القصة الخيالية ، الانتحار من أجل الحب والتى رواها كاتب روائى مثلك وليس صحفياً فحسب !

لودوفيكو : نعم ، كانت تريد ذلك فى الواقع .

فرانكو : أترى ذلك ؟

لودوفيكو : إنها غضبت ، لإنى رأيت أخرى مختلفة عنها .

أونوريا : لقد كونا ثنائياً رائعاً ! هى تروى الأكاذيب ، وهو يدونها !

لودوفيكو : أكاذيب — فعلا ! — وتدعى أيضاً قصصاً . ولكن هل لها ذنب فى أن تكون هذه القصة غير حقيقية ؟ يهمنا جداً أن تكون غير حقيقية ؟ ثم جميلة ! لقد ساءت حبكتها بالنسبة لها ، فى الواقع ، ولكن بالنسبة لى ، فهذا لا يمنع من أن تنجح عند كتابتها . وأقول فضلا عن ذلك ، إنها أكثر جمالا كما هى عليه ! أوه ، جدا ، جميلة جداً ! وإنى لفى غاية الابتهاج بأنه اتضح كل شىء !

[يشير لفرانكو إلى أونوريا :]

انظر بعينيك إلى هذه السيدة مثلا ، كانت فعلا ، كلها ازدراء وثورة ثم فى غاية السرور ، والآن عادت تشعر بالمرارة —

أونوريا : (ثائرة) سأكون كذلك على الأقل !

لودوفيكو : (يوافقها بسرعة) نعم ، نعم . معك حق ! إذن فهى رائعة جدا . لا تنكرى !

[متجهاً إلى فرانكو]

وأنت أولا كنت بالأمس ثائراً لدرجة —

فرانكو : (ثائراً) قلت لك ذلك بنفسى !

لودوفيكو : (يوافقه بسرعة) نعم ، نعم ، فمن العدل ! ومنتهى العدل ! بالضبط من أجل هذا فهى جميلة للغاية ! — لكن معذرة ، أتتصور أنه علىّ أن أقوم بدور الأحمق هنا ؟ لا ! يسعدنى أن أوضح لك كم هى جميلة — جميلة — جميلة جداً — هذه الملهاة . عن أكذوبة اكتشفت —

فرانكو : (ثائرا من جديد ومتألماً) ـ أتقول إنها جميلة؟

لودوفيكو : (مدركا ألمه بسرعة) بالضبط لأنك تقاسى ولأنك قاسيت هكذا ! أوه ، إنى أدرك ، وأشعر فى نفسى — بالألم ، لاتصدق! ولا تشك فى أننى سأعرف كيف أقدمها إلى الحياة ، سأكتب عنها قصة أو مسرحية .

أونوريا : وأنها لاشىء ، لا شىء ، تريد أن تضعنى أنا أيضاً فى المسرحية ؟

لودوفيكو : نعم ، لو كتبت مسرحية.

أونوريا : آه ، لا تخاطر بوضعى فى المسرحية ، احذر ذلك !

لودوفيكو : ماذا تفعلين ؟ هل ستقولين بأنه غير صحيح ؟

أونوريا : غير صحيح ! غير صحيح ! أنت الخداع الذى تكون الثنائى معها ؟

لودوفيكو : (ضاحكا) هدئى من روعك ، سيقول النقاد ذلك ، إنه غير صحيح !

[مبتعدا]

كيف أنها للآن لم تعد بعد ؟ فى هذه الساعة يجب أن تكون هنا — لقد أعطيتها قليلا من النقود . . .

أونوريا : (فورا) أعطيتها نقوداً ؟ آه ، عظيم ! فلنتصور إذن ! ما الذى سيحدث .

لودوفيكو : أعطيتها نقوداً لتدفع حسابها فى الفندق وتتسلم حقيبتها .

أونوريا : إذا كنت أعطيتها نقودا ، فلن تعود ! لن تعود ! ووداعا للمسرحية ! ويمكننى أن أستريح حقاً الآن !

لودوفيكو : لا — تصورى — بالنسبة لهذا توجد دائما وسيلة لتصور خاتمة نهائية ، حتى ولو كان عملا فى الحياة لا خاتمة له !

فرانكو : أتخشى حقا ألا تعود ؟

لودوفيكو : هذا : حسب الظروف . إذا كان الهدف من أكاذيبها هى « الوقائع » كما تقول ، فإنى أخشى ألا تعود وفيما يبدو لى أنها تعود فقط فى حالة ما إذا كان الهدف الذى ترمى إليه فوق وخارج الوقائع . وعندئذ سأكتب المسرحية ـ وسأكتبها حتى ولو لم تعد .

فرانكو : دون أن تدخل الوقائع فى اعتبارك ؟

لودوفيكو : الوقائع ! الوقائع ! ياسيدى العزيز ، الوقائع هى كما تؤخذ ؛ وهى حينئذ ، لم تعد وقائع فى عقلنا بعد ؛ لكن الحياة هى التى تظهرها هكذا بطريقة أو بأخرى . الوقائع هى الماضى ـ وكنت تقول ذلك أنت بنفسك ـ عند ما تستسلم النفس وتترك الحياة هناك . لهذا لا أعتقد فى الوقائع .

[تدخل إمّا فى هذه اللحظة من الباب
الرئيسى ، لتعلن]

إما : السيد القنصل جروتى حضر ، وهو يطلب الآنسة أو سيادتك يا سيد نوتا .

لودوفيكو : آه ، لقد حضر هنا .

فرانسكو : (متعجرفا ومهدداً ، ملمحاً ومحاولا التقدم للتوجه لملاقاته) : إنه أتى فى الوقت المناسب .

لودوفيكو : (يعترض طريقه بهدوء وثبات) أرجوك بالتزام الهدوء فى دارى ،واحيطك علما . أنه ليس لك أن تطلب حسابا من أحد !

فرانسكو : (كما سبق) يمكننى الانصراف !

لودوفيكو : لا ! ستبقى هنا . إنى ذاهب لمقابلة هذا السيد

[يظهر القنصل جروتى على عتبة الباب،
فى قلق وفى ثورة جامحة]

[تنسحب إمّا]

جروتى : بعد الاستئذان ! الآنسة دراى ؟

أونوريا : (منزعجة ، مهتاجة ، نافدة الصبر) ليست هنا ! خرجت !

فرانسكو : وربما لن تعود !

جروتى : أوه يا إلهى ، ليعلما . . . أنى أخاطبك أنت ، ياسيد نوتا . —

لودوفيكو : إنك تدخل منزلى ، دون استئذان .

جروتى : أرجو المعذرة ! ولـكننى فى حاجـة لأن أعرف ما إذا كانت الآنسة دراى قد علمت أن زوجتى —

فرانسكو : (فورا) — إنها ذهبت إلى خطيبتى لتعلن . —

جروتى : (صائحاً بسرعة وبكبرياء) — جنونها !

فرانسكو : آه ، إذن هل تنـكر ؟

جروتى : (كما سبق وبغضب وازدراء) ليس لدى ما أؤيده أو أنـكره !

فرانسكو : آه لا ! إنك أخطأت ، لأنك يجب أن تجيبنى —

جروتى : عن أى شىء تريدنى أن أجيب ؟ عن جنون السيدة ؟ — إنى مستعد للرد عند ما تريد .

فرانسكو : حسناً !

جروتى : (متجها إلى لودوفيكو بسرعة) إنى متعجـل لأن أعرف فقط يا سيد نوتا ، ما إذا كانت الآنسة دراى على علم !

لودوفيكو : لا ، لا أظن .

جروتى : آه ، شكراً لله ، شكراً لله !

لودوفيكو : كانت معى : وتركتها لتذهب إلى الفندق .

جروتى : وهل كنت تجهل أيضا ذلك ؟

لودوفيكو : لا ، علمت بذلك الآن من السيد لاسبيجا الذى وجدته هنا .

جروتى : آه حسناً ، حسناً ! لأنها فى حالة يأس الآن ، وهذه الضربة الأخرى ...

لودوفيكو : ولـكن الواقع — أننا ننتظرها — وهى لم تعد بعد .

فرانكو : إذا كانت لا تعرف ذلك ، فمن المحتمل جداً أنها تنتظر معرفته ! وبما أن السيد نوتا أعطاها بعض النقود فربما تكون قد رحلت .

جروتى : لتكن إرادة الله ! وبالأحرى فإنى أخشى —

فرانكو : آه ، إذن أتعترف الآن ؟

جروتى : إنى لا أعترف بشىء !

فرانكو : فعلا ، إنها لشهامة !

جروتى : ولكن ألا تدرك أنه لا يهمنى على الإطلاق أنك ، يا سيدى العزيز ، تصدق أو لا تصدق ، ويمكنك أن تعتقد ما تريده وما يروق لك !

فرانكو : (متعجرفا فجأة) أنا ؟ ذلك الذى يروق لى ؟ أريد معرفة الحقيقة لا اعتقاد ما يروق لى !

جروتى : وبعد ذلك ؟ عند ما أقول لك إنه ليس حقيقياً ؟ ألا تريد أن تدرك أنك أنت ، أنت بالذات ، السبب فى حالة اليأس التى هى فيها الآن ؟

فرانكو : أنا ؟

جروتى : نعم ! أنت !

فرانكو : إذا كانت زوجتك قد طردتها وهى بريئة ، دون أن يكون لها شأن حتى فى حادث الطفلة —

جروتى : (فورا وبثبات) هذا لا !

فرانكو : أهى أكذوبة · هذه ؟

جروتى : لقد ذهبت إلى الجريدة لأحتج من أجل هذا ـ لأحتج ضد هذه الأكذوبة بالذات !

فرانسكو : وبعد ذلك ، حضرت هنا لتتفق معها ؟

جروتى : (مرتجفاً ، وتقريباً مندمجا بقسوة . . يتمالك نفسه) استميحك عذرا ، يا سيد نوتا . . .

[ثم، إلى فرانسكو]

لقد حضرت هنا لأن والد خطيبتك رجانى بذلك . ووجدت ـ فضلا عن ذلك ،وبحضورك أنت بالذات، وبحضوركم جميعاً ـ أنها كانت فى يأس لأنك —

فرانسكو : (فورا وبقوة شديدة) — لأنى كنت أريد إصلاح الخطأ الذى ارتكبته ! ولكن لماذا تيأس هى - أريد أن أعرف ما دام الضرر الذى صدر منى حقيقيا ؟

جروتى : لأنها لا ترغب فى إصلاح الموضوع عن طريقك ! أوه عظيم ! إنها لا تريد ذاك ! لا تريد ذلك ! قالت ذلك ! وكررته ! يا لله ، إنه عناد جميل !

فرانسكو : (فورا وبقوة شديدة) لا يمكنها أن نعتقد أنه يروق لى ! هذا لا ! إنها تريد أن تبعدنى بالاعتذار بهذا اليأس ، لتقوم بسهولة من ناحيتها بدورها هنا أمام السيد .

[مشيراً إلى لودوفيكو]

بأن نجهله يعتقد أن كل شيء ليس صحيحا ـ ولكنى أتيت إلى هنا ، لا رغبة منى ، ولكن لأنها هى ، هى نفسها ، أعلنت على الملأ أنها انتحرت من أجلى !

جروتى : ألم تعترف لك أنها كذبت ؟

فرانكو : (فورا وبعنف أكثر شدة دائما) أكذوبة ثانية !أكذوبتان! — هل أنا الذى أجبرتها على الكذب ؟

جروتى : ومن يدرى ذلك ، إذا كانت لم تقل لا ، بالنسبة لهذا ؟

فرانكو : (كما سبق) إذن ، فهل حاولت حقا الانتحار من أجلى ؟

جروتى : لا أعرف ، لماذا حاولت الانتحار .

فرانكو : (كما سبق) إذا كانت قد حاولت الانتحار من أجلى كما قلت وبسبب زواجى ! فأنا لا أرى مبرراً آخر ، لأن تفعل ذلك !

لودوفيكو : ربما إذا لم يكن ، كما قالت لى —

فرانكو : (ملتفتا ، فجأة) لا ، معذرة ، إنك قلت ، منذ لحظة ، إنك لم تر أى سبب ، ولا هى أيضا !

لودوفيكو : لا ، هاك ، إنها أهينت . . . فى الطريق . . . كشحاذة . . . .

فرانكو : (بسخرية) فعلا ! فى تلك الليلة ، عند ما سلمت نفسها لأول عابر ......

جروتى : (بتجهم) هل قالت هذا أيضاً ؟

فرانكو : (متقدما بقوة وحمية) هذا أيضا ! هـذا أيضا ! إنها فعلت هذا أيضا نتيجة خطأى ، وبسبب خيانتى ! وأنت تريد ، مسلما بهذا ، ألا أعاند فى الادعاء ، بكل ما أوتيت من قوة ، أن تقبل منى الإصلاح ؟ ولكنى ما زلت مستعدا لادعاء ذلك حتى

الآن ، إذا صرحت لى بأن زوجتك كذبت ، عندما أعلنت أنها كانت خليلتك !

[تدخل إما فى هذه اللحظة من الباب الرئيسى ، صائحة بفزع]

إما : السيدة ! السيدة ! يا إلهى . . . السيدة . . .

أونوريا : ماذا هناك ؟

لودوفيكو : هى ؟

إما : نعم يا سيدى . . . عادت . . .

جروتى : وأين هى ؟

أونوريا : أين هى ؟

إما : أنها كالميتة . . . فبمجرد أن فتحت . . . سقطت ، بالحقيبة...

لودوفيكو : السم . . . آه ، يا إلهى ، كان معها السم فى الحقيبة ...

[بينما يسرع الجميع ، تظهر أرسيليا
عند الباب الرئيسى : كالمومياء ،
ولكنها هادئة . حلوة وتقريبا باسمة]

أونوريا : (متراجعة ، مع الأخيرين) أوه . . ها هى ذى . . .

جروتى : (مندفعا) أرسيليا ... أرسيليا ... ماذا فعلت بنفسك ؟

فرانكو : (بينه وبين نفسه تقريبا) ها هو ذا يخدع نفسه !

لودوفيكو : (يسرع ليسندها) آنستى . . آنستى . .

أونوريا : (بفزع بينها وبين نفسها تقريباً) أوه يا إلهى . . . من جديد ؟

أرسيليا : لا شىء . صمتا . . . هذه المرة ، لاشىء . . .

[تقوم بحركة بأصبعها أمام شفتيها]

جروتى : (بصيحة) لا ! لا ... يا إلهى ، ياإلهى ! ينبغى إنقاذها فوراً ! فلننقلها فى الحال !

أونوريا : (فزعة) نعم ، بسرعة ، بسرعة !

لودوفيكو : (مسرعا نحوها) نعم ، نعم . . تعالى ، تعالى .

أرسيليا : (مدافعة) لا : لا أريد ، — كفى ! أرجوك . .

جروتى : (مسرعاً هـو أيضا) نعم ! تعـالى ، تعالى معى ! سأصحبك أنا !

أرسيليا : (مدافعة) لا أريد ، قلت لك . . .

لودوفيكو : (مسرعا نحوها) نعم ، اقتنعى ، دعينا نصحبك ، يا آنستى !

أونوريا : سأرسل لإحضار عربة !

أرسيليا : أرجوكم ، كفى ، قلت لـكم ... هذا عديم الجدوى !

جروتى : كيف ذلك ؟ يجب ألا نضيع الوقت !

أرسيليا : إنه عديم الجدوى ! لم يعد هناك علاج . صمتاً أرجوكم . دعونى هادئة . إذا شئت يا سيد نوتا وأنت يا سيدتى .. ـ لسوء الحظ لن أموت فى الحال ولـكنى آمل أن يكون سريعاً . . .

لودوفيكو : قولى ... — ماذا ترغبين ؟ ماذا ترغبين ؟

أرسيليا : فراشك .

لودوفيكو : نعم ، تعالى ، بسرعة !

أونوريا : تعالى ، تعالى !

جروتى : (مقاطعا من جديد بتأثير شديد) ماذا فعلت بنفسك ؟ ماذا فعلت بنفسك ؟

اودوفيكو : كان عليك أن تفكرى يا آنستى أنى هنا ! كان يمكنك أن تمكثى هنا ، معى !

أرسيليا : لو لم أفعل هذا لما صدقنى أحدكم .

فرانسكو : (بطريقة حادة متأثراً) ماذا ، ما الذى كان يجب تصديقه ؟

أرسيليا : (فى هدوء) إننى لم أكذب لأعيش . هناك ما فى الأمر .

فرانسكو : ولم إذن ؟

أرسيليا : لأموت. هذا هو السبب. أترى ؟ـ صرخت فى وجهك عندما قلت تلك الأكذوبة . كان يجب أن ينتهى كل شىء بالنسبة لى ، وقلتها لهذا بالذات . ولم ترغب فى تصديق ذلك ؛ ومعك الحق ، نعم ، لأنى لم أفكر فيك — لم أسكر فى أى شىء — ومعك الحق ، لم أفكر فى إزعاجك ، وارتباكك هكذا .. ولكن كنت أحتقر نفسى للغاية !

فرانسكو : كيف ؟ كنت تتهميننى ..

أرسيليا : لا .

فرانسكو : كيف لا ؟

أرسيليا : لا ، لا .. إن قول ذلك صعب . . ـ فتصور ، تصديقه — والآن سأقول لك. كنت أحتقر نفسى كثيراً حتى إننى لم أكن أظن أنه من الممكن أن أسبب لك كل هذه المضايقات — ويمكنك أن تصدقنى . استمع ، أردت أولا ، أن أحصل على كل هذا الحق ، أن تصدقوننى : لاقوله لك . إنى تسببت لك فى كل

هذا القلق ولخطيبتك أيضا ، وكنت أعلم ، كنت أعلم أنه لا ينبغى أن أفعل ذلك ؛ وأنه لم يعد لى الحق فى أن أفعل ذلك، لأن . .

[تنظر نحو جروتّى ثم تتجه إلى فرانكو من جديد]

هل علمت ؟ ـ علمت من زوجتك ، أليس صحيحا ؟

فرانكو : (بصوت خافت) نعم .

أرسيليا : تصور ذلك . وجاء إلى هنا لينكر ، أليس صحيحا ؟

فرانكو : (كما سبق) نعم .

أرسيليا : هاك ! ترى ؟

[تنظر نحوه وتقوم بحركة شفقة يائسة وهى تفسح بصعوبة ذراعيها ، حركة تدل بدون كلام ، على السبب الذى من أجله تشعر الإنسانية المعذبة بحاجتها إلى الكذب . وتضيف بلطف زائد]

وأنت أيضا . . . .

فرانكو : (مضطرب ، فى إخلاص زائد يدرك الحركة) : نعم ، وأنا أيضا وأنا أيضا !

أرسيليا : (متأثراً بابتسامة بعيدة تقريبا) تحدثت عن الحلم . . . لست أدرى . . أشياء جميلة . – وأسرعت إلى هنا للإصلاح – نعم ، مثله - للإصلاح - وأنكر ذلك .

[ينفجر جروتى فى بكاء حاد . وحينئذ
ترتبك وتشير بأن يمسك أعصابه
وأن يكف عن البكاء]

لا ، لا ، أرجوك ! - كل واحد ، كل واحد يريد أن يظهر بمظهر جميل — أكثر مما هو عليه ... أكثر مما هو عليه ...

[إنها تريد أن تقول « بشعون » ولكنها
تظهر اشمئزازا وشفقة فى نفس الوقت ،
التى لا تجرؤ على قولها]

ـ وأكثر من ذلك نريد أن نحسن مظهرنا .

[تبتسم]

يا إلهى ، نعم ، أن يكسونا ثوب بسيط محتشم ' - ولم يكن لدى واحد لأظهر به أمامك . ولكنى أعرف أنك أنت أيضا ... خلعت زى البحارة الجميل . وعندئذ رأيتنى . . . رأيتنى فى الطريق ، عارية . . ـ و . . .

[يتجهم وجهها عند ذكرى ذلك
المساء فى الطريق عند ما خرجت
من الفندق الكئيب]

— نعم ، لطخة أخرى من الوحل فوقى ، لتلوثنى . — يا إلهى ، يا للاشمئزاز ! يا للغثيان ! — وإذن . . . وإذن أردت

بهذا أن أجعله على الأقل ، ثوبا جميلا محتشما لموتى — أترون لماذا كذبت ؟ لهذا ، أقسم لكم ! إنى لم أستطع أن أحصل على واحد للحياة لأظهر به بمظهر حسن ، على واحد لم يمزق من الكلاب . . . من الكلاب الكثيرة الذين كانوا يقفزون دائما علىّ ، ويقفون أمامى فى كل طريق ، ولم يتسخ من البؤس الأشد انحطاطا والأكثر ضعة — أردت أن أحيك ثوبا — جميلا — لموتى — ثوب أحلامى — الجميل الذى انتزعوه منى بسرعة — ثوب الخطوبة ؛ إنه كان لموتى ، لموتى ، لموتى وكفى — والمسألة وما فيها الآن قليل من البكاء من الجميع وينتهى كل شىء — حسن . لا ! لا ! لم أستطع الحصول حتى على هذا ! لقد مزقوه لى وانتزعوه منى ! وعرّونى ، لأموت عارية ! مكشوفة ، مهانة ، محتقرة ! — هنا هكذا : هل أنتم مسرورون؟ اذهبو الآن . اذهبوا ودعونى أموت فى هدوء وسلام : أن أموت عارية . اذهبوا وأستطيع أن أقول لكم الآن ، ويبدو لى ، أنه من حقى ألا أرى وألا أسمع أحدا ؟ اذهبوا جميعا . واذهبا انتما لتقولا ، أنت لزوجتك ، وأنت لخطيبتك ، إن التى انتحرت ماتت عارية ولم تستطع أن تكسو نفسها .

« ستار »

الناشر

دار سعد مصر
للطباعة والنشر

دار القومية العربية للطباعة
١٦ شارع الزعفة (ميدان الجيش)